

وصايا و مجالس

الامام جعفر الصادق عليه السلام

توحيد مفضل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصايا و مجالس الامام جعفر الصادق ( عليه السلام )

كاتب:

مفضل بن عمر

نشرت في الطباعة:

مجهول ( بي جا ، بي نا )

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
١١	وصايا و مجالس الامام جعفر الصادق عليه السلام
١١	اشاره
١١	تقديم للناسر
١١	كلام ابن ابى العوجاء مع صاحبه
١٣	محاورة المفضل مع ابن أبى العوجاء
١٣	سبب املاء الكتاب على المفضل
١٣	اشاره
١٤	المجلس ٠١
١٤	اشاره
١٤	جهل الشكاك بأسباب الخلقه و معانيها
١٥	تهيئه العالم و تأليف أجزاءه
١٦	خلق الانسان و تدبير الجنين فى الرحم
١٦	كيفية ولاده الجنين و غذائه و طلوع أسنانه و بلوغه
١٧	حال من لا ينبت فى وجهه الشعر و عله ذلك
١٧	حال المولود لو ولد فهما عاقلا و تعليل ذلك
١٨	منفعه الأطفال فى البكاء
١٩	آلات الجماع و هيئتها
٢٠	اعضاء البدن و فوائد كل منها
٢٠	زعم الطبيعيين و جوابه
٢٠	عملية الهضم و تكون الدم و جريانه فى الشرايين و الاورده
٢١	اول نشوء الأبدان: تصوير الجنين فى الرحم
٢١	اختصاص الانسان بالانتصاب و الجلوس دون البهائم
٢١	تخص الانسان بالحواس و تشرفه بها دون غيره

- ٢١ ..... الحواس الخمس و أعمالها و ما فى ذلك من الأسرار
- ٢١ ..... تقدير الحواس بعضها يلقى بعضا
- ٢٢ ..... فيمن عدم البصر و السمع و العقل و ما فى ذلك من الموعظه
- ٢٣ ..... الأعضاء المخلوقه أفرادا و أزواجا و كيفية ذلك
- ٢٤ ..... الصوت و الكلام و تهيئته آلاته فى الانسان و عمل كل منها
- ٢٤ ..... ما فى الأعضاء من المآرب الأخرى
- ٢٥ ..... الدماغ و أغشيته و الجمجمه وفائدتها
- ٢٥ ..... الجفن و أشفاره
- ٢٥ ..... الفؤاد و مدرعته
- ٢٥ ..... الحلق و المريء
- ٢٥ ..... الرئّه و عملها... اشراج منافذ البول و الغائط
- ٢٥ ..... المعده عصبانيه و الكبد
- ٢٦ ..... المخ و الدم و الاظفار و الاذن و لحم الاليتين و الفخذين
- ٢٦ ..... الأنسان ذكر و انثى و تناسله و آلات العمل و حاجته و حيلته و الزامه بالحجه
- ٢٦ ..... الفؤاد و ثقبه المتصله بالرئّه
- ٢٦ ..... فرج الرجل و الحكمه فيه
- ٢٦ ..... منفذ الغائط و وصفه
- ٢٧ ..... الطواحن من أسنان الانسان
- ٢٧ ..... الشعر و الاظفار و فائده قصهما
- ٢٨ ..... شعر الركب و الابطين
- ٢٨ ..... الريق و ما فيه من المنفعه
- ٢٨ ..... محاذير كون بطن الانسان كهبيئه القباء
- ٢٩ ..... افعال الانسان فى الطعم و النوم و الجماع و شرح ذلك
- ٣١ ..... قوى النفس و موقعها من الانسان
- ٣١ ..... النعمه على الانسان فى الحفظ و النسيان
- ٣١ ..... اختصاص الانسان بالحياه دون بقية الحيوانات

- ٣١ ..... اختصاص الانسان بالمنطق و الكتابه
- ٣٢ ..... اعطاء الانسان ما يصلح دينه و دنياه و منعه مما سوى ذلك
- ٣٣ ..... ما ستر عن الانسان علمه من مده حياته
- ٣٥ ..... الأحلام و امتزاج صادقها بكاذبها و سر ذلك
- ٣٦ ..... الأشياء المخلوقه لمآرب الانسان و ايضاح ذلك
- ٣٧ ..... الخبز و الماء رأس معاش الانسان و حياته
- ٣٨ ..... اختلاف صور الناس و تشابه الوحوش و الطير و غيرها و الحكمه فى ذلك
- ٣٨ ..... نمو أبدان الحيوان و توقفها و سبب ذلك
- ٣٩ ..... ما يعتبر أجسام الانس من ثقل الحركه و المشى لو لم يصيبها ألم
- ٣٩ ..... انقراض الحيوان لو لم يلد ذكورا و اناثا
- ٣٩ ..... ظهور شعر العانه عند البلوغ و نبات اللحيه للرجل دون المرأه و ما فى ذلك من التدبير
- ٣٩ ..... المجلس ٠٢
- ٣٩ ..... اشاره
- ٤٠ ..... ابنيه أبدان الحيوان و تهيئتها و ايضاح ذلك
- ٤١ ..... اجساد الانعام و ما اعطيت و ما منعت و سبب ذلك
- ٤١ ..... خلق الأصناف الثلاثه من الحيوان
- ٤١ ..... آكلات اللحم من الحيوان و التدبير فى خلقها
- ٤١ ..... ذوات الأربع و استقلال اولادها
- ٤٣ ..... قوائم الحيوان و كيفيه حركتها
- ٤٣ ..... انقياد الحيوانات المسخره للانسان و سببه
- ٤٣ ..... افتقاد السباع للعقل و الرويه و فائده ذلك
- ٤٣ ..... عطف الكلب على الانسان و محاماته عنه
- ٤٣ ..... وجه الدابه و فمها و ذنبها و شرح ذلك
- ٤٥ ..... الفيل و مشفره
- ٤٥ ..... حياء الأنثى من الفيله
- ٤٥ ..... الزرافه و خلقتها و كونها ليست من لقاح أصناف شتى

- ٤٦ ..... القرد و خلقته و الفرق بينه و بين الانسان
- ٤٧ ..... اكساء أجسام الحيوانات و خلقه أقدامها بعكس الانسان و أسباب ذلك
- ٤٧ ..... مواراه البهائم عند احساسها بالموت
- ٤٨ ..... الفطن التي جعلت في البهائم: الايل و الثعلب و الدلفين
- ٤٩ ..... التنين و السحاب
- ٤٩ ..... في الذره و النمل و اسد الذباب و العنكبوت و طبائع كل منهما
- ٥٠ ..... جسم الطائر و خلقته
- ٥٢ ..... الدجاجه و تهيجهها لحضن البيض و التفريخ
- ٥٢ ..... خلق البيضه و التدبير في ذلك
- ٥٢ ..... حوصله الطائر
- ٥٢ ..... اختلاف ألوان الطير و عله ذلك
- ٥٢ ..... ريش الطائر و وصفه
- ٥٢ ..... الطائر الطويل الساقين و التدبير في ذلك
- ٥٣ ..... العصافير و طلبها للأكل
- ٥٣ ..... معاش البوم و الهام و الخفاش
- ٥٤ ..... خلقه الخفاش
- ٥٤ ..... حيله الطائر أبونمره بالحسكه و منفعتها
- ٥٥ ..... النحل: عسله و بيوته
- ٥٥ ..... الجراد و بلاؤه
- ٥٥ ..... كثره الجراد
- ٥٥ ..... وصف السمك
- ٥٥ ..... كثره نسل السمك و عله ذلك
- ٥٦ ..... سعه حكمه الخالق و قصر علم المخلوقين
- ٥٦ ..... المجلس ٠٣
- ٥٦ ..... اشاره
- ٥٧ ..... لون السماء و ما فيه من صواب التدبير

٥٧	.....	طلوع الشمس و غروبها و المنافع فى ذلك
٥٨	.....	التدبير و المصلحة فى الفصول الأربعة من السنة
٥٨	.....	معرفة الأزمنة و الفصول الأربعة عن طريق حركة الشمس
٥٩	.....	الاستدلال بالقمر فى معرفة الشهور
٥٩	.....	ضوء القمر و ما فيه من المنافع
٥٩	.....	النجوم و اختلاف مسيرها و السبب فى أن بعضها راتبه و الأخرى متنقلة
٦٠	.....	فوائد بعض النجوم
٦٢	.....	الشمس و القمر و النجوم و البروج تدل على الخالق
٦٣	.....	مقادير الليل و النهار
٦٣	.....	الحر و البرد و فوائدهما
٦٤	.....	الرياح و ما فيها
٦٤	.....	الهواء و الاصوات
٦٥	.....	هيئته الأرض
٦٦	.....	فوائد الماء و السبب فى كثرتة
٦٧	.....	فوائد الهواء و السبب فى كثرتة
٦٨	.....	منافع النار و جعلها كالمخزونه فى الاجسام
٦٩	.....	الصحو و المطر و تعاقبهما على العالم و فوائد ذلك
٧٠	.....	مصالح نزول المطر على الأرض و أثر التدبير فيه
٧١	.....	منافع الجبال
٧١	.....	انواع المعادن و استفادته الانسان منها
٧٢	.....	النبات و ما فيه من ضرور المآرب
٧٣	.....	الرياح فى النبات و سببه
٧٣	.....	بعض النباتات و كيف تصان
٧٤	.....	الحكمه فى خلق الشجر و أصناف النبات
٧٥	.....	خلق الورق و وصفه
٧٥	.....	العجم و النوى و العله فى خلقه

- ٧٦ ..... موت الشجر و تجدد حياته و ما فى ذلك من ضروب التدبير
- ٧٦ ..... خلق الرمانه و أثر العمد فيه
- ٧٦ ..... حمل اليقطين و ما فيه من التدبير و الحكمه
- ٧٧ ..... موافاه أصناف النبات فى الوقت المشاكل لها
- ٧٧ ..... فى النخل و خلقه الجذع و الخشب و فوائد ذلك
- ٧٨ ..... العقاقير و اختصاص كل منها
- ٧٩ ..... المجلس ٠٤
- ٧٩ ..... اشاره
- ٨٠ ..... الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلك
- ٨٠ ..... الآفات و نظر الجهال اليها و الجواب على ذلك
- ٨٣ ..... لماذا تصيب الآفات جميع الناس و ما الحججه فى ذلك
- ٨٤ ..... الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلك
- ٨٥ ..... الطعن على التدبير من جهه اخرى و الجواب عليه
- ٨٨ ..... اسم هذا العالم بلسان اليونانيه
- ٨٨ ..... عمى (مانى) عن دلائل الحكمه و ادعاؤه علم الاسرار
- ٨٨ ..... انتقاد المعطله فيما راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل
- ٨٨ ..... معرفه العقل للخالق معرفه اقرار لا معرفه احاطه
- ٨٩ ..... الشمس و اختلاف الفلاسفه فى وضعها و شكلها و مقدارها
- ٩٠ ..... الحق الذى تطلب معرفته من الأشياء أربه أوجه و تفصيل ذلك
- ٩١ ..... اصحاب الطبائع و مناقشه أقوالهم
- ٩٣ ..... پاورقى
- ٩٤ ..... تعريف مركز

المؤلف: توحيد مفضل

الناشر : توحيد مفضل

الطبعة: الاولى

طبع فى سنه: ١٤٢٤ ق / ٢٠٠٣ م

### تقديم للناشر

كان ائمه أهل البيت عليهم السلام يفيضون على الامه بعلومهم، يجيبون على أسئله السائلين، و يفتحون أبواب المعرفه للناهلين. ان الامام جعفر بن محمد الصادق من هذه الدوحه الباسقه و الشجره الثابت أصلها، استغل فتره ضعف الدوله الأمويه و بدايه تأسيس العباسيين لدولتهم، لذا أسس مدرسته الفكرية الشامخه، فقصدته طلاب العلم و الحقيقه يغرفون من بحار علومه. و من بين هؤلاء الاصحاب كان المفضل بن عمر الجعفى الذى هاله ما سمعه من بعض الملحدين و الشاكين بقدره الله تعالى، فتوجه الى الامام عليه السلام يطرح مخاوفه و هواجسه و عدم قدرته على اجابتهم. فما كان من الامام الصادق عليه السلام الا الطلب من تلميذه أن يأتيه [ صفحہ ٦ ] و خصص له وقتا لذلك، فصار المفضل يأتي الامام عليه السلام و يدون ما كان يلقيه امامه العظيم من معارف و آفاق تتناول مختلف جوانب الكون فمن جسم الانسان و قواه العقلية و النفسية، الى عالم الحيوان و ما أبدعه الخالق الكريم فيها من بدائع الروعه و عظيم الصنعه، الى ما يحيط بنا من شمس و قمر و اجرام سماويه، و ما تحويه الأرض من معادن... و قد استمرت هذه الجلسات. و كان من توفيق الله تعالى أن وصلتنا هذه المجالس الصادقيه، فسلام الله على امامنا جعفر الصادق يوم ولد و يوم أعطى أمته من فيض علومه و يوم توفى و يوم يبعث حيا مع الشهداء و الصديقين و حسن اولئك رفيقا. [ صفحہ ٧ ]

### كلام ابن ابي العوجاء مع صاحبه

روى محمد بن سنان، قال: حدثنى المفضل بن عمر قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالسا فى الروضه بين القبر و المنبر، و أنا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمدا صلى الله

عليه وآله وسلم، من الشرف والفضائل، وما منحه واعطاه وشرفه وحياءه، مما لا يعرفه الجمهور من الأمه و ما جهلوه من فضله وعظيم منزلته، وخطير مرتبته، فاني لكذلك اذ أقبل: «ابن أبي العوجاء» فجلس بحيث اسمع كلامه فلما استقر به المجلس اذ رجل من أصحابه قد جاء فجلس اليه، فتكلم «ابن أبي العوجاء» فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، و حاز الشرف بجميع خصاله، و نال الحظوه في كل أحواله، فقال له صاحبه: أنه كان فيلسوفا ادعى المرتبه [ صفحہ ۸ ] العظمى، و المنزله الكبرى، و أتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، و ضلت فيها الاحلام، و غاصت الألباب على طلب علمها في بحار الفكر، فرجعت خاسئات، و هي حسر، فلما استجاب لدعوته العقلاء و الفصحاء و الخطباء، دخل الناس في دينه أفواجا، فقرن اسمه باسم ناموسه، فصار يهتف به على رؤوس الصوامع، في جميع البلدان و المواضع، التي انتهت اليها دعوته، و علتها كلمته، و ظهرت فيها حجته برا و بحرا، سهلا و جبلا، في كل يوم و ليله خمس مرات مرددا في الأذان و الاقامه، ليتجدد في كل ساعه ذكره، و لئلا يخمل أمره. فقال «ابن أبي العوجاء»: دع ذكر محمد (صلى الله عليه و على آله) فقد تحير فيه عقلي، و ضل في أمره فكري. و حدثنا في ذكر الأصل الذي نمشى له... ثم ذكر ابتداء الأشياء، و زعم أن ذلك باهمال لا صنعه فيه و لا تقدير، و لا صانع و لا مدبر، بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر، و على هذا كانت الدنيا لم تزل و لا تزال!

## محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء

قال المفضل: فلم أملك نفسي غضبا وحنقا، فقلت: يا عدو الله أُلحِدت في دين الله، و أنكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم، و صورك في أتم صورة، و نقلك في احوالك حتى بلغ الى حيث انتهيت. فلو تفكرت في نفسك و صدقك لطيف حسك، لو جددت دلائل الربوبية و آثار الصنعة فيك قائمه، و شواهدة جل و تقدس في خلقك واضحه، و براهينه لك لائحه، فقال: يا هذا ان كنت من أهل الكلام كلمناك، فان ثبت لك حجه تبعاك، و ان لم تكن منهم فلا كلام لك، و ان كنت من اصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا تخاطبنا، و لا بمثل دليلك تجادل فينا، و لقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا، و لا تعدى في جوابنا و أنه الحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق، و لا طيش و لا نزف يسمع كلامنا، و يصغى الينا و يتعرف حجتنا، حتى اذا استفرغنا ما عندنا، و ظننا انا قطعناه، دحض حجتنا بكلام يسير، و خطاب قصير، يلزمنا به الحجه، و يقطع [ صفحه ۱۰ ] العذر، و لا نستطيع لجوابه ردا، فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

## سبب املاء الكتاب على المفضل

### اشاره

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزوننا مفكرا فيما بلى به الاسلام و أهله من كفر هذه العصابة و تعطيلها فدخلت على مولاي عليه السلام فرآني منكسرا فقال: ما لك؟ فأخبرته بما سمعت من الدهريين و بما رددت عليهما. فقال: يا مفضل لألقين عليك من حكمه الباري جل و علا و تقدس اسمه في خلق العالم، و السباع، و البهائم، و الطير، و الهوام، و كل ذى روح من الأنعام و

النبات، و الشجره المثمره، و غير ذات الثمر و الحبوب، و البقول، المأكول من ذلك و غير المأكول، ما يعتبر به المعتبرون و يسكن الى معرفته المؤمنون، و يتحير فيه الملحدون فيكر على غدا. [ صفحه ١١ ]

## المجلس ١٠

### اشاره

قال المفضل: فانصرفت من عنده فرحا مسرورا، و طالت على تلك الليله انتظارا لما وعدنى به، فلما أصبحت غدوت فاستؤذن لى فدخلت، و قمت بين يديه، فأمرنى بالجلوس، فجلست، ثم نهض الى حجره كان يخلو فيها، و نهضت بنهوضه، فقال: اتبعنى، فتبعته، فدخل و دخلت خلفه، فجلس و جلست بين يديه، فقال: يا مفضل كأنى بك و قد طالت عليك هذه الليله انتظارا لما وعدتك، فقلت: أجل يا مولاي. فقال: يا مفضل ان الله تعالى كان و لا شىء قبله، و هو باق و لا نهايه له، فله الحمد على ما ألهمنا، و الشكر على ما منحنا، فقد خصنا من العلوم بأعلاها و من المعالى بأسناها، و اصطفانا على جميع الخلق بعلمه، و جعلنا مهمين، عليهم بحكمه. [ صفحه ١٢ ] فقلت: يا مولاي أتأذن لى أن اكتب ما تشرحه - و كنت اعددت معى ما اكتب فيه - فقال لى: افعل يا مفضل.

## جهل الشكاك بأسباب الخلقه و معانيها

ان الشكاك جهلوا الأسباب و المعانى فى الخلقه، و قصرت افهامهم عن تأمل الصواب، و الحكمه فيما ذرأ البارى جل قدسه، و برأ من صنوف خلقه فى البر، و البحر، و السهل، و الوعر، فخرجوا بقصر علومهم الى الجحود، و بضعف بصائرهم الى التكذيب و العنود، حتى انكروا خلق الأشياء، و ادعوا أن تكونها بالاهمال، لا صنعه فيها و لا تقدير و لا حكمه من مدبر، و لا صانع، تعالى الله عما يصفون، و قاتلهم الله انى يؤفكون فهم فى ضلالهم و غيهم و تجبرهم بمنزله عميان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء و أحسنه، و فرشت بأحسن الفرش و أفخره، و أعد فيها ضروب الأطمعه و الأشربه و الملابس و

المآرب التي يحتاج اليها ولا يستغنى عنها، ووضع كل شىء من ذلك موضعه على صواب من التقدير، وحكمه من التدبير، فجعلوا [صفحة ١٣] يترددون فيها يمينا وشمالا، ويطوفون بيوتها ادبارا واقبالا، محجوبه ابصارهم عنها، لا يبصرون بنيه الدار، وما أعد فيها وربما عثر بعضهم بالشىء الذي قد وضع موضعه، وأعد للحاجه اليه، وهو جاهل للمعنى فيه ولم يعد ولماذا جعل كذلك؟ فتدمر وتسخط و ذم الدار و بانيتها. فهذه حال هذا الصنف فى انكارهم ما أنكروا من أمر الخلقه و ثبات الصنعه. فانهم لما غربت اذهانهم عن معرفه الأسباب و العلل فى الأشياء، صاروا يجولون فى هذا العالم حيارى، فلا يفهمون ما هو عليه من اتقان خلقته، و حسن صنعتة، و صواب هيئته. و ربما وقف بعضهم على الشىء الذى يجهل سببه، و الأرب فيه، فيسرع الى ذمه و وصفه بالاحاله و الخطأ، كالذى أقدمت عليه المنانیه الكفره، و جاهرت به الملحده المارقه الفجره، و أشباههم من أهل الضلال المعلنين أنفسهم بالمحال فيحقق على من أنعم الله عليه بمعرفته، و هداه لدينه، و وفقه لتأمل التدبير فى صنعه الخلاق، و الوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير و صواب التقدير، بالدلاله القائمه الداله على صانعها. أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك، و يرغب اليه فى الثبات عليه [صفحة ١٤] و الزياده منه فانه جل اسمه يقول: «لئن شكرتم لأزيدنكم».

### تهيئه العالم و تأليف أجزاءه

يا مفضل أول العبر و الدلاله على البارى جل قدسه، تهيئه هذا العالم، و تأليف أجزاءه و نظمها، على ما هى عليه، فانك اذا تأملت العالم بفكرك و خبرته

بعقلك، وجدته كالبيت المبنى المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده، فالسمااء مرفوع كالسقف، و الأرض ممدوده كاللبساط، و النجوم مضيئه كالمصابيح، و الجواهر مخزونه كالذخائر، و كل شىء فيه لشأنه معد، و الانسان كالمالك ذلك البيت، و المخول جميع ما فيه. و ضرور النبات مهياه لمآربه، و صنوف الحيوان مصروفه فى مصالحه و منفعه. ففى هذا دلالة واضحه على أن العالم مخلوق بتقدير و حكمه و نظام و ملاءمه، و أن الخالق له واحد، و هو الذى ألفه و نظمه بعضا الى بعض، جل قدسه و تعالى جده و كرم وجهه و لا اله غيره [ صفحه ١٥ ] تعالى عما يقول الجاحدون، و جل و عظم عما ينتحله الملحدون.

## خلق الانسان و تدبير الجنين فى الرحم

نبدأ يا مفضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به... فأول ذلك ما يدبر به الجنين فى الرحم، و هو محجوب فى ظلمات ثلاث: ظلمه البطن، و ظلمه الرحم، و ظلمه المشيمه، حيث لا حيله عنده فى طلب غذاء، و لا دفع أذى. و لا استجلاب منفعه، و لا دفع مضره، فانه يجرى اليه من دم الحيض ما يغذوه، الماء و النبات، فلا يزال ذلك غذاؤه.

## كيفية ولاده الجنين و غذائه و طلوع أسنانه و بلوغه

حتى اذا كمل خلقه و استحكم بدنه و قوى أديمه على مباشره الهواء، و بصره على ملاقاه الضياء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد ازعاج واعنفه حتى يولد، فاذا ولد صرف ذلك [ صفحه ١٦ ] الدم الذى كان يغذوه من دم أمه الى ثديها و انقلب الطعم و اللون الى ضرب آخر من الغذاء و هو أشد موافقه للمولود من الدم فيوافيه فى وقت حاجته اليه، فحين يولد قد تلمظ و حرك شفثيه طلبا للرضاع، فهو يجد ثدى امه كالأدواتين المعلقتين لحاجته فلا يزال يتغذى باللبن، ما دام رطب البدن رقيق الامعاء لين الاعضاء. حتى اذا تحرك، و احتاج الى غذاء فيه صلابه ليشتد و يقوى بدنه، طلعت له الطواحن من الاسنان و الاضراس ليضع بها الطعام، فيلين عليه. و يسهل له اساغته، فلا يوال كذلك حتى يدرك، فاذا أدرك و كان ذكرا طلع الشعر فى وجهه، فكان ذلك علامه الذكر، و عز الرجل الذى يخرج به من جده الصبا و شبه النساء. و ان كانت اثنى يبقى وجهها نقياً من الشعر، لتبقى لها البهجه، و النضاره التى تحرك الرجل لما فيه دوام النسل و بقاؤه. اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الانسان فى هذه الأحوال المختلفه، هل ترى مثله يمكن

أن يكون بالاهمال؟ أفرايت لو لم يجر اليه ذلك الدم و هو فى الرحم، ألم يكن سيدوى و يجف كما يجف النبات اذا فقد الماء، و لو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيقى فى الرحم كالمؤود [ صفحه ١٧ ] فى الأرض؟ و لو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعا أو يفتدى بغذاء لا يلائمه، و لا يصلح عليه بدنه، و لو لم تطلع له الاسنان فى وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام و اساغته. أو يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه و لا يصلح لعمل؟ ثم كان يشغل امه بنفسه عن تربيته غيره من الأولاد.

### حال من لا ينبت فى وجهه الشعر و عله ذلك

و لو لم يخرج الشعر فى وجهه فى وقته ألم يكن سيقى فى هيئه الصبيان و النساء، فلا ترى له جلاله و لا وقارا؟ قال المفضل فقلت له: يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته و لا ينبت الشعر فى وجهه و ان بلغ الكبر، فقال عليه السلام «ذلك بما قدمت أيديكم و أن الله ليس بظلام للعبيد» فمن هذا الذى يرصده حتى يوافيه بكل شىء من هذه المآرب الا الذى أنشأه خلقا، بعد ان لم يكن، ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان، فان كان الاهمال يأتى بمثل [ صفحه ١٨ ] هذا التدبير، فقد يجب أن يكون العمد و التقدير يأتیان بالخطأ و المحال، لأنهما ضد الاهمال و هذا فظيع من القول و جهل من قائله. لأن الاهمال لا يأتى بالصواب و التضاد لا يأتى بالنظام، تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا.

### حال المولود لو ولد فهما عاقلا و تعليل ذلك

و لو كان المولود يولد فهما عاقلا لأنكر العالم عند ولادته و لبقى حيرانا تائه العقل اذا رأى ما لم يعرف، وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم و الطير، الى غير ذلك مما يشاهده ساعه بعد ساعه و يوما بعد يوم. و اعتبر ذلك بأن من سبى من بلد و هو عاقل، يكون كالواله الحيران فلا يسرع الى تعلم الكلام، و قبول الأدب، كما يسرع الذى سبى صغيرا غير عاقل، ثم لو ولد عاقلا كان يجد غضاضه اذا رأى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى فى المهد لأنه لا يستغنى عن هذا كله. لرقه بدنه و رطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوه و الوقع [ صفحه ١٩ ] من القلوب ما

يوجد للطفل فصار يخرج الى الدنيا غيبا غافلا عما فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف و معرفه ناقصه. ثم لا يزال يتزايد فى معرفه قليلا قليلا، و شيئا بعد شىء، و حالا بعد حال، حتى يألف الأشياء، و يتمرن و يستمر عليها، فيخرج من حد التأمل لها و الحيره فيها الى التصرف، و الاضطرار الى المعاش بعقله و حيلته، و الى الاعتبار و الطاعه و السهو و الغفله و المعصيه، و فى هذا أيضا وجوه أخر، فانه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوه تربيته الاولاد، و ما قدر أن يكون للوالدين فى الاشتغال بالولد من المصلحه و ما يوجب التريه للآباء على الابناء من المكافأه بالبر، و العطف عليهم، عند حاجتهم الى ذلك منهم ثم كان الاولاد لا يألفون آباءهم و لا يألف الآباء أبناءهم، لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربيته الآباء و حياتهم، فيتفرقون عنهم حين يولدون، فلا يعرف الرجل أباه و أمه، و لا يمتنع عن نكاح امه و اخته، و ذوات المحارم منه، اذا كان لا يعرفهن. و أقل ما فى ذلك من القباحه، بل هو أشنع و اعظم و أفظع و أقبح و أبشع، لو خرج المولود من بطن أمه و هو يعقل، أن يرى منها ما لا يحل له، و لا يحسن [ صفحه ٢٠ ] به أن يراه، أفلا ترى كيف اقيم كل شىء من الخلقه على غايه الصواب؟ و خلا- من الخطأ دقيقه و جليله.

### منفعه الأطفال فى البكاء

اعرف يا مفضل ما للأطفال فى البكاء من المنفعه. و اعلم ان فى أدمغه الأطفال رطوبه، ان بقيت فيها احدثت عليهم احدثا جليله و عللا عظيمه، من ذهاب البصر

و غيره، و البكاء يسيل تلك الرطوبه من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحه فى ابدانهم و السلامه فى أبصارهم. أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء و والداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه و يتوخيان فى الأمور مرضاته لئلا يبكى، و هما لا يعلمان أن البكاء اصلح له و اجمل عاقبه. فهكذا يجوز أن يكون فى كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالاهمال و لو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشىء أنه لا- منفعه فيه، من اجل انهم لا- يعرفونه و لا- يعلمون السبب فيه، فان كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون و كثيرا ما يقصر عنه على المخلوقين محيط به الخالق جل قدسه و علت كلمته. [ صفحه ٢١ ] فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق، ففى ذلك خروج الرطوبه التى لو بقيت فى ابدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبه، فأخرجته الى حد البله و الجنون و التخليط الى غير ذلك من الأمراض المتلفه كالفالج و اللقوه و ما اشبههما، فجعل الله تلك الرطوبه تسيل من أفواههم فى صغرهم، لما لهم فى ذلك من الصحه فى كبرهم، فتفضل على خلقه بما جهلوه و نظر لهم بما لم يعرفوه، و لو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك من التمادى فى معصيته، فسبحانه ما اجل نعمته و اسبغها على المستحقين و غيرهم من خلقه، تعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا.

## آلات الجماع و هيئتها

انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع فى الذكر و الأنثى جميعا على ما يشاكل ذلك عليه، فجعل للذكر آله ناشره تمتد حتى تصل النطفه الى الرحم، اذ كان محتاجا الى أن يقذف ماءه فى غيره،

و خلق للأنثى وعاء [ صفحہ ۲۲ ] قعرا ليشتمل على الماءين جميعا. و يحتمل الولد و يتسع له و يصونه حتى يستحكم، اليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه و تعالى عما يشركون!؟

## اعضاء البدن و فوائد كل منها

فكر يا مفضل في اعضاء البدن اجمع، و تدبير كل منها للأرب فاليدان للعلاج، و الرجلان للسعى، و العينان للاهتداء، و الفم للاعتداء و المعده للهضم، و الكبد للتخليص، و المنافذ لتنفيذ الفضول، و الأوعية لحملها، و الفرج لاقامه النسل، و كذلك جميع الأعضاء، اذا ما تأملتها و اعملت فكرك فيها و نظرك، وجدت كل شىء منها قد قدر لشىء على صواب و حكمه.

## زعم الطبيعيين و جوابه

قال المفضل فقلت: يا مولاي أن قوما يزعمون أن هذا من فعل الطبيعه، فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعه [ صفحہ ۲۳ ] أمى شىء له علم و قدره على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟؟ فان أوجبوا لها العلم و القدره فما يمنعهم من اثبات الخالق، فان هذه صنعته!!، و ان زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم و لا عمد، و كان في أفعالها ما قد تراه من الصواب و الحكمه، علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم، فان الذى سموه طبيعه هو سنته في خلقه، الجاريه على ما اجراها عليه.

## عملية الهضم و تكون الدم و جريانه في الشرايين و الاورده

فكر يا مفضل في وصول الغذاء الى البدن، و ما فيه من التدبير، فان الطعام يصير الى المعده فتطبخه، و تبعث بصفوه الى الكبد، في عروق دقاق و اشجه بينهما، و قد جعلت كالمصفى للغذاء، لكي لا يصل الى الكبد منه شىء فينكأها و ذلك أن الكبد رقيقه لا تحتمل العنف، ثم أن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دما، و ينفذه الى البدن كله في مجارى مهيئه لذلك، بمنزله المجارى التى تهيأ للماء ليترد [ صفحہ ۲۴ ] في الأرض كلها و ينفذ ما يخرج منه من الخبث. و الفضول الى مفانض قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المره الصفراء جرى الى المراره و ما كان من جنس السوداء جرى الى الطحال، و ما كان من البله و الرطوبه جرى الى المثانه. فتأمل حكمه التدبير في تركيب البدن، و وضع هذه الأعضاء منه مواضعها، و اعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه و تنهكه، فتبارك من أحسن التقدير، و أحكم التدبير، و له الحمد كما هو أهله و

## اول نشوء الأبدان: تصوير الجنين فى الرحم

قال المفضل فقلت: صف نشوء الأبدان و نموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام و الكمال. قال عليه السلام: أول ذلك تصوير الجنين فى الرحم حيث لا تراه عين و لا تناله يد، و يدبره حتى يخرج سويا [ صفحہ ۲۵ ] مستوفيا جميع ما فيه قوامه و صلاحه من الاحشاء و الجوارح و العوامل، الى ما فيه تركيب أعضائه من العظام، و اللحم، و الشحم، و العصب، و المخ، و العروق و الغضاريف. فاذا خرج الى العالم تراه كيف ينمو بجميع اعضاءه و هو ثابت على شكل و هيئه لا تتزايد و لا تنقص الى أن يبلغ اشده ان مد فى عمره أو يستوفى مدته قبل ذلك، هل هذا الا من لطيف التدبير و الحكمة.

## اختصاص الانسان بالانتصاب و الجلوس دون البهائم

انظر يا مفضل ما خص به الانسان فى خلقه تشرفا، و تفضلا على البهائم، فانه خلق ينتصب قائما، و يستوى جالسا، ليستقبل الاشياء بيديه و جوارحه، و يمكنه العلاج و العمل بهما فلو كان مكبوبا على وجهه كذوات الأربع، لما استطاع أن يعمل شيئا من الأعمال. [ صفحہ ۲۶ ]

## تخص الانسان بالحواس و تشرفه بها دون غيره

انظر الآن يا مفضل الى هذه الحواس التى خص بها الانسان فى خلقه، و شرف بها على غيره. كيف جعلت العينان فى الرأس، كالمصاييح فوق المناره؟ ليمكن من مطالعه الأشياء، و لم تجعل فى الاعضاء التى تحتها، كاليدين و الرجلين، فتعرضها الآفات و يصيبها من مباشره العمل و الحركة، ما يعللها و يؤثر فيها و ينقص منها، و لا فى الاعضاء التى وسط البدن، كالبتن، و الظهر، فيعسر قلبها، و اطلعها نحو الأشياء.

## الحواس الخمس و أعمالها و ما فى ذلك من الأسرار

فلما لم يكن لها فى شىء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس، و هو بمنزله الصومعه لها. فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكى لا يفوتها شىء من المحسوسات. فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت [ صفحہ ۲۷ ] الألوان و لم يكن بصر يدركها، لم تكن فيها منفعة. و خلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها، لم يكن فيها ارب، و كذلك سائر الحواس، ثم هذا يرجع متكافيا، فلو كان بصر و لم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، و لو كان سمع و لم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع.

## تقدير الحواس بعضها يلقى بعضا

فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضا، فجعل لكل حاسه محسوسا يعمل فيه. و لكل محسوس حاسه تدركه، و مع هذا فقد جعلت أشياء متوسطه بين الحواس و المحسوسات، لا- تتم الحواس الا- بها، كمثل الضياء و الهواء، فانه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللون، و لو لم يكن هواء يؤدى الصوت الى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت. فهل يخفى

عليه من صح نظره و أعمل فكره، أن مثل هذا الذى وصفت من تهيئه الحواس و المحسوسات بعضها يلقي بعضا، و تهيئه اشياء اخر بها تتم [ صفحه ٢٨ ] الحواس، لا يكون الا بعمل و تقدير من لطيف خبير.

### فيمن عدم البصر و السمع و العقل و ما فى ذلك من الموعظه

فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس. و ما يناله من الخلل فى أموره، فانه لا يعرف موضع قدميه، و لا يبصر ما بين يديه، فلا يفرق بين الألوان، و بين النظر الحسن و القبيح، و لا يرى حفره ان هجم عليها و لا عدوا ان اهوى اليه بسيف، و لا يكون له سبيل الى أن يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابه و التجاره و الصياغه. حتى أنه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزله الحجر الملقى. و كذلك من عدم السمع، يختل فى أمور كثيره، فانه يفقد روح المخاطبه و المحاوره، و يعدم لذه الأصوات و اللحون المشجيه و المطربه، و تعظم المؤنه على الناس فى محاورته. حتى يتبرموا به، و لا- يسمع شيئا من أخبار الناس و أحاديثهم، حتى يكون كالعائب و هو شاهد، أو كالميت و هو حى. [ صفحه ٢٩ ] فأما من عدم العقل، فانه يلحق بمنزله البهائم، بل يجهل كثيرا مما تهتدى اليه البهائم،

أفلا ترى كيف صارت الجوارح و العقل، و سائر الخلال التي بها صلاح الانسان، و التي لو فقد منها شيئا لعظم ما يناله في ذلك من الخلل، يوافق خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها، فلم كان كذلك؟ الا أنه خلق بعلم و تقدير. قال المفضل: فقلت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟ قال عليه السلام: ذلك للتأديب و الموعظه لمن يحل ذلك به و لغيره بسببه كما يؤدب الملوك الناس للتنكيل و الموعظه، فلا ينكر عليهم، بل يحمد من رأبهم، و يتصوب من تديبرهم. ثم أن للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت - ان شكروا و أنابوا - ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتى انهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب. [ صفحه ٣٠ ]

## الأعضاء المخلوقه أفرادا و أزواجا و كيفية ذلك

فكر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت افرادا و أزواجا، و ما في ذلك من الحكمه و التقدير، و الصواب في التدبير. فالرأس مما خلق فردا، و لم يكن للانسان صلاح في أن يكون له أكثر من واحد. ألا ترى لو اضيف الى رأس الانسان رأس آخر لكان ثقلا عليه، من غير حاجه اليه، لأن الحواس التي يحتاج اليها مجتمعه في رأس واحد. ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فان تكلم كان الآخر معطلا لا أرب فيه و لا حاجه اليه، و ان تكلم منهما جميعا بكلام واحد، كان احدهما فضلا لا يحتاج اليه، و ان تكلم بأحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر، لم يدر السامع بأى ذلك يأخذ و أشباه هذه من الاخلاط.

و الیدان مما خلق ازواجاً، و لم یکن للانسان خیر فی أن یكون له ید واحدہ لأن ذلك كان یخل به فیما یحتاج الی معالجته من الاشیاء ألا ترى ان النجار و البناء لو شلت [ صفحہ ۳۱] احدى یدیہ لا یستطیع أن یعالج صناعته، و ان تكلف ذلك لم یحکمہ، و لم یبلغ منه ما یبلغ اذا كانت یداه تتعاونان علی العمل.

### الصوت و الكلام و تهيئه آلاته فی الانسان و عمل كل منها

أطل الفكر یا مفضل فی الصوت و الكلام و تهيئه آلاته فی الانسان فالحنجره كالانوبه لخروج الصوت، و اللسان و الشفتان و الاسنان لصياغه الحروف و النغم. ألا ترى أن من سقطت اسنانه لم یقم السین، و من سقطت شفته لم یصح الفاء، و من ثقل لسانه لم یصح الراء، و اشبه شیء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجره تشبه قصبه المزمار، و الرئه تشبه الزق الذى ینفخ فیہ لتدخل الريح، و العضلات التى تقبض علی الرئه لیخرج الصوت كالأصابع التى تقبض علی الزق حتى تجرى الريح فی المزامير و الشفتان و الاسنان التى تصوغ الصوت حروفاً و نغماً كالأصابع التى تختلف فی فم المزمار فتصوغ صغیره ألحانا غیر أنه و ان كان مخرج الصوت یشبه المزمار بالآله و التعریف فان المزمار - فی [ صفحہ ۳۲] الحقیقه - هو المشبه بمخرج الصوت.

### ما فی الأعضاء من المآرب الأخرى

قد أنبأتك بما فی الأعضاء من الغناء فی صنعہ الكلام و اقامه الحروف، و فیها مع الذى ذكرت لك مآرب اخرى. فالحنجره لیسلك فیها هذا النسیم الی الرئه، فتروح علی الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذى لو حبس شیئاً سیراً لهلك الانسان، و باللسان تذاق الطعوم، فیميز بینها، و یعرف كل واحد منها حلوها من مرها و حامضها من مرها و مالحها من عذبتها و طیبها من خبیثها، و فیہ مع ذلك معونه علی اساغته، و هى مع ذلك كالسند للشفیتین تمسكهما و تدعمهما من داخل الفم و اعتبر ذلك فانك ترى من سقطت اسنانه مسترخی الشفه و مضطربها، و بالشفیتین یرشف الشراب، حتى یكون الذى یصل الی الجوف منه بقصد و قدر، لا یثج ثجا، فیغص به الشارب، أو ینكأ فی الجوف، ثم

همى بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الانسان اذا شاء و يطبقها اذا شاء. و فيما وصفنا من هذا بيان. [ صفحه ٣٣ ] ان كل واحد من هذه الاعضاء يتصرف، و ينقسم الى وجوه من المنافع كما تتصرف الأداة الواحده فى اعمال شتى، و ذلك كالفأس تستعمل فى النجاره و الحفر و غيرهما من الأعمال.

### الدماغ و أغشيته و الجمجمه وفائدتها

و لو رأيت الدماغ اذا كشف عنه لرأيتة قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، و تمسكه فلا يضطرب. و لرأيت عليه الجمجمه بمنزله البيضه، كما تقيه هد الصدمه، و الصكه التى ربما وقعت فى الرأس ثم قد جللت الجمجمه بالشعر، حتى صارت بمنزله الفرو للرأس يستره من شده الحر و البرد، فمن حصن الدماغ هذا التحصين، الا الذى خلقه و جعله ينبوع الحس، و المستحق للحيطه و الصيانه، بعلو منزلته من البدن، و ارتفاع درجته، و خطير مرتبته. [ صفحه ٣٤ ]

### الجفن و أشفاره

تأمل يا مفضل: الجفن على العين كيف جعل كالغشاء و الاشفار كالأشراح و أولجها فى هذا الغار، و أظلمها بالحجاب. و ما عليه من الشعر.

### الفؤاد و مدرعته

يا مفضل من غيب الفؤاد فى جوف الصدر، و كساه المدرعه التى غشاؤه، و حصنه بالجوانح و ما عليها من اللحم و العصب، لئلا يصل اليه ما ينكأه.

### الحلق و المريء

من جعل فى الحلق منفذين احدهما لمخرج الصوت و هو الحلقوم المتصل بالرئه، و الآخر منفذا للغذاء، و هو المريء المتصل بالمعده الموصل للغذاء اليها، و جعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام أن يصل الى الرئه فيقتل. [ صفحه ٣٥ ]

### الرئه و عملها... اشراج منافذ البول و الغائط

من جعل الرئه مروحه الفؤاد لا تفتت و لا تختل لكيلا تتحير الحراره فى الفؤاد، فتؤدى الى التلف؟. من جعل لمنافذ البول و الغائط أشراجا. تضبطهما، لئلا- يجريا جريانا دائما، فيفسد على الانسان عيشه فكم عسى أن يحصى المحصى من هذا، بل الذى لا يحصى منه و لا يعلمه الناس أكثر.

### المعده عصبانيه و الكبد

من جعل المعده عصبانيه شديده و قدرها لهضم الطعام الغليظ؟ و من جعل الكبد رقيقه ناعمه لقبول الصفو اللطيف من الغذاء، و لتهضم و تعمل ما هو ألطف من عمل المعده الا الله القادر؟ أترى الاهمال يأتى بشىء من ذلك؟ كلا! بل هو تدبير مدبر حكيم قادر، عليم بالاشياء قبل خلقه اياها، لا يعجزه شىء و هو اللطيف الخبير. [ صفحه ٣٦ ]

## المخ و الدم و الاظفار و الاذن و لحم الاليتين و الفخذين

فكر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصنا فى أنابيب العظام؟ و هل ذلك الا ليحفظه و يصونه؟. لم صار الدم السائل محصورا فى العروق بمنزله الماء فى الظروف. الا-وقايه لها و معونه على العمل؟ لم صار داخل الاذن ملتويا كهيأه اللولب الا- ليطرد فيه الصوت، حتى ينتهى الى السمع، و ليكسر حمه الريح، فلا ينكأ فى السمع؟ لم حمل الانسان على فخذيه و اليته هذا اللحم، الا ليقيه من الأرض، فلا- يتألم من الجلوس عليها، كما يألم من نحل جسمه و قل لحمه، اذا لم يكن بينه و بين الأرض حائل يقيه صلابتها.

## الأنسان ذكر و انثى و تناسله و آلات العمل و حاجته و حيلته و الزامه بالحجه

من جعل الانسان ذكرا و انثى الا- من خلقه متناسلا؟ و من خلقه متناسلا الا- من خلقه مؤملا؟ و من أعطاه آلات [ صفحه ٣٧ ] محتاجا؟ و من جعله محتاجا الا من ضربه بالحاجه؟ و من ضربه بالحاجه الا من توكل بتقويمه؟ و من خصه بالفهم الا من أوجب الجزاء؟ و من وهب له الحيله الا- من ملكه الحول و من ملكه الحول الا- من أزمه الحجه؟ و من يكفيه ما لا تبلغه حيلته الا من لم يبلغ مدى شكره. فكر و تدبر ما وصفته. هل تجد الاهمال يأتي على مثل هذا النظام و الترتيب تبارك الله و تعالى عما يصفون.

## الفؤاد و ثقبه المتصله بالرئه

اصف لك الآن يا مفضل الفؤاد... اعلم أن فيه ثقباً موجه نحو الثقب التى فى الرئه تروح عن الفؤاد، حتى لو اختلفت تلك الثقب و تزايل بعضها عن بعض، لما وصل الروح الى الفؤاد، و لهلك الانسان افيستجيز ذو فكره و رويه أن يزعم أن مثل هذا يكون بالاهمال، و لا يجد شاهدا من نفسه يزعه عن هذا القول؟ لو رأيت فردا من مصراعين فيه كلوب أكنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا- معنى؟ بل كنت تعلم ضروره أنه مصنوع يلقي فردا آخر، فيبرزه ليكون فى [ صفحه ٣٨ ] اجتماعهما ضرب من المصلحه. و هكذا تجد الذكر من الحيوان، كأنه فرد من زوج مهياً من فرد انثى، فليتيقان لما فيه من دوام النسل و بقائه، فتبا و خيبه و عسا لمنتحلى الفلسفه كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقه العجيبه حتى انكروا التدبير و العمد فيها؟.

## فرج الرجل و الحكمه فيه

لو كان فرج الرجل مسترخيا، كيف كان يصل الى قعر الرحم، حتى يفرغ النطفه فيه؟ و لو كان منعضا ابدا كيف كان الرجل يتقلب فى الفراش، او يمشى بين الناس و شىء شاخص أمامه، ثم يكون فى ذلك مع قبح المنظر. تحريك الشهوه فى كل وقت من الرجال و النساء جميعا، فقدر الله جل اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبسو للبصر فى كل وقت، و لا يكون على الرجال منه مؤنه، بل جعل فيه قوه الانتصاب وقت الحاجه الى ذلك، لما قدر أن يكون فيه من دوام النسل و بقائه. [ صفحه ٣٩ ]

## منفذ الغائط و وصفه

اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمه على الانسان فى مطعمه و مشربه و تسهيل خروج الأذى. أليس من حسن التقدير فى بناء الدار أن يكون الخلاء فى استر موضع منها، فكذا جعل الله سبحانه المنفذ المهياً للخلاء من الانسان فى استر موضع منه، فلم يجعله بارزا من خلفه، و لا- ناشزا من بين يديه، بل هو منيب فى موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقى عليه الفخذان، و

تحجبه الاليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه، فاذا احتاج الانسان الى الخلاء، و جلس تلك الجلسة الفى ذلك المنفذ منه منصبا، مهياً لانحدار الثقل. فتبارك من تظاهرت آلاؤه و لا تحصى نعمائه.

## الطواحن من أسنان الانسان

فكر يا مفضل فى هذه الطواحن، التى جعلت للانسان، فبعضها حداد لقطع الطعام و قرضه، و بعضها [ صفحه ٤٠ ] عراض لمضغه و رضه، فلم ينقص واحد من الصفتين، اذا كان محتاجا اليهما جميعا.

## الشعر و الاظفار و فائده قصهما

تأمل و اعتبر بحسن التدبير فى حلق الشعر و الأظفار، فانهما لما كانا مما يطول و يكثر، حتى يحتاج الى تخفيفه أولا فأولا، جعلنا عديما الحس، لثلا- يؤلم الانسان الأخذ منهما. و لو كان قص الشعر و تقليص الأظفار مما يوجد له ألم، وقع من ذلك بين مكروهين، اما أن يدع كل منهما حتى يطول فيثقل عليه، و أما أن يخففه بوجع و ألم يتألم منه. قال المفضل فقلت: فلم لم يجعل ذلك خلقه لا تزيد فيحتاج الانسان الى النقصان منه، فقال عليه السلام: أن الله تبارك اسمه فى ذلك على العبد نعماً لا يعرفها، فيحمده عليها... اعلم ان آلام البدن و أدواءه تخرج بخروج الشعر فى مسامه و بخروج الأظفار من أناملها، و لذلك أمر الانسان بالنوره، و حلق الرأس، و قص الأظفار، فى كل أسبوع [ صفحه ٤١ ] ليسرع الشعر و الاظفار فى النبات، فتخرج الآلام و الأدواء بخروجهما... و اذا طالاً تحيراً، و قل خروجهما، فاحتسبت الآلام و الادواء فى البدن فأحدثت عللاً و أوجاعاً، و منه - مع ذلك - الشعر من المواضع التى تضر بالانسان، و تحدث عليه الفساد و الضر لو نبت الشعر فى العين، ألم يكن سيعمى البصر؟ و لو نبت فى الفم، ألم يكن سينغص على الانسان طعامه و شرابه؟ و لو نبت فى باطن الكف، ألم يكن سيعوقه عن صحه اللمس و بعض الأعمال؟ و لو نبت فى فرج المرأه و على

ذكر الرجل، ألم يكن سيفسد عليهم لذه الجماع؟... فانظر كيف تنكب الشعر عن هذه المواضع، لما فى ذلك من المصلحه، ثم ليس هذا فى الانسان فقط، بل تجده فى البهائم و السباع و سائر المتناسلات، فانك ترى اجسامها مجلله بالشعر و ترى هذه المواضع خاليه منه لهذا السبب بعينه... فتأمل الخلقه كيف تتحرز وجوه الخطأ و المضره، و تأتي بالصواب و المنفعه. [ صفحه ٤٢ ]

### شعر الركب و الابطين

ان المنانیه و اشباههم، حين اجهدوا فى عيب الخلقه و العمد عابوا الشعر النابت على الركب و الابطين، و لم يعلموا أن ذلك من رطوبه تنصب الى هذه المواضع، فینبت فيها الشعر كما ینبت العشب فى مستنقع المياہ أفلا ترى الى هذه المواضع استر واهياً لقبول تلك الفضله من غيرها؟... ثم ان هذه تعد مما یحمل الانسان من مؤنه هذا البدن و تكالیفه، لما له فى ذلك من المصلحه، فأن اهتمامه بتنظيف بدنه. و أخذ ما یعلوه من الشعر، مما یکسر به شرته و یکف عاديته و یشغله عن بعض ما یرخرجه اليه الفراغ من الأشر و البطاله.

### الریق و ما فيه من المنفعه

تأمل الریق و ما فيه من المنفعه، فانه جعل یرجى جريانا دائما الى الفم، ليبل الحلق و اللهوات فلا یجف، فان [ صفحه ٤٣ ] هذه المواضع لو جعلت كذلك، كان فيه هلاك الاسنان ثم كان لا يستطيع أن یسیغ طعاما، اذا لم يكن فى الفم بله تنفذه، تشهد بذلك المشاهده، و اعلم أن الرطوبه مطیه الغذاء و قد تجرى من هذه البله الى مواضع أخر من المره فىكون فى ذلك صلاح تام للانسان، و لو بیست المره لهلك الانسان.

### محاذیر كون بطن الانسان كهیئه القباء

و لقد قال قوم من جهله المتكلمين و ضعفه المتفلسفين بقله التمييز و قصور العلم: لو كان بطن الانسان كهیئه القباء یفتحه الطیب اذا شاء فیعاین ما فيه، و یدخل یده فیعالج ما أراد علاجه ألم ینکن أصلح من أن ینكون مصمتا محجوبا عن البصر و الید، لا یعرف ما فيه الا بدلالات غامضه، كمطل النظر الى البول، و جس العرق، و ما أشبه ذلك مما ینکثر فيه الغلط و الشبهه، حتى ربما كان ذلك سببا للموت، فلو علم هؤلاء الجهله أن هذا لو كان هكذا، كان أول ما فيه أن كان یسقط عن الانسان الوجل من الأمراض و الموت و كان [ صفحه ٤٤ ] ینستشع البقاء و یغتر بالسلامه فیخرجه ذلك الى العتو و الأشر. ثم كانت الرطوبات التى فى البطن ترشح و تتحلب فیفسد على الانسان مقعده و مرقده و ثياب بدلته و زینته، بل كان یفسد علیه عیشه، ثم أن المعده و الکبد و الفؤاد انما یفعل أفعالها بالحراره الغریزیه التى جعلها الله محتبسه فى الجوف، فلو كان فى البطن فرج ینفتح حتى یصل البصر الى رؤيته، والید الى علاجه، لوصل برد

الهواء الى الجوف. فمازج الحرارة الغريزيه، و بطل عمل الاحشاء، فكان فى ذلك هلاك الانسان، أفلا ترى أن كل ما تذهب اليه الأوهام - سوى ما جاءت به الخلقه - خطأ و خطل.

### افعال الانسان فى الطعم و النوم و الجماع و شرح ذلك

فكر يا مفضل فى الأفعال التى جعلت فى الانسان من الطعم و النوم و الجماع و ما دبر فيها.... فانه جعل لكل واحد منها فى الطباع نفسه محرك يقتضيه و يستحث به، فالجوع يقتضى الطعم الذى فيه راحة البدن و قوامه و الكرى يقتضى النوم الذى فيه راحة البدن و اجمام قواه، و الشبق [ صفحه ٤٥ ] يقتضى الجماع الذى فيه دوام النسل و بقاءه... و لو كان الانسان انما يصير الى أكل الطعام، لمعرفته بحاجه بدنه اليه، و لم يجد من طباعه شيئا يضطره الى ذلك، كان خليقا أن يتوانى عنه احيانا بالثقل و الكسل، حتى يضعف بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض و الموت، و كذلك لو كان انما يصير الى النوم بالفكر فى حاجته الى راحة البدن و اجمام قواه كان عسى أن يتناقل عن ذلك، فيدفعه حتى ينهك بدنه. و لو كان انما يتحرك للجماع بالرغبه فى الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه، حتى يقل النسل أو ينقطع فان من الناس من لا- يرغب فى الولد، و لا- يحفل به. فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التى بها قوام الانسان و صلاحه، محركا من نفس الطبع يحركه لذلك، و يحدوه عليه. و اعلم أن فى الانسان قوى اربعا: قوه جاذبه تقبل الغذاء و تورده على المعده، و قوه ماسكه تحبس الطعام،

حتى تفعل فيه الطبيعه فعلها، وقوه هاضمه، وهى التى [ صفحه ٤٦ ] تطبخه، وتستخرج صفوه، وتبثه فى البدن، وقوه دافعه تدفعه وتصدر الثفل الفاضل، بعد اخذ الهاضمه حاجتها... ففكر فى تقدير هذه القوى الأربع التى فى البدن و أفعالها و تقديرها للحاجه اليها و الأرب فيها، و ما فى ذلك من التدبير و الحكمه، فلولا الجاذبه كيف كان يتحرك الانسان لطلب الغذاء الذى به قوام البدن؟ و لولا الماسكه كيف كان يلبث الطعام فى الجوف حتى تهضمه المعده؟ و لولا الهاضمه كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذى يغذو البدن و يسد خلله و لولا الدافعه كيف كان الثفل الذى تخلفه الهاضمه يندفع و يخرج أولاً فأولاً؟ أفلا ترى كيف و كل الله سبحانه - بلطف صنعه و حسن تقديره - هذه القوى بالبدن، و القيام بما فيه صلاحه... و سأمثل لك فى ذلك مثالا: أن البدن بمنزله دار الملك، له فيها حشم و صبيه و قوام موكلون بالدار، فواحد لقضاء حوائج الحشم و ايرادها عليهم، و آخر لقبض ما يرد و خزنه، الى أن يعالج و يهيا، و آخر لعلاج ذلك و تهيته و تفريقه، و آخر لتنظيف ما فى الدار من الأقدار و اخراجه منها، فالملك فى هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين، و الدار هى البدن، و الحشم هم الاعضاء، و القوم [ صفحه ٤٧ ] هم هذه القوى الأربع. و لعلك ترى ذكرنا من هذه القوى على الجبهه التى ذكرت فى كتب الاطباء و لا قولنا فيه كقولهم، لأنهم ذكروها على ما يحتاج اليه فى صناعه الطب و تصحيح الابدان، و ذكرناها على ما يحتاج فى

صلاح الدين و شفاء النفوس من الغى كالذى أوضحته بالوصف الشافى و المثل المضروب من التدبير و الحكمة فيها.

## قوى النفس و موقعها من الانسان

تأمل يا مفضل هذه القوى التى فى النفس، و موقعها من الانسان، أعنى الفكر و الوهم و العقل و الحفظ و غير ذلك، أفرأيت لو نقص الانسان من هذه الخلال الحفظ وحده، كيف كانت تكون حاله، و كم من خلل كان يدخل عليه فى اموره و معاشه و تجاربه، اذا لم يحفظ ما له و ما عليه و ما اخذه و ما اعطى و ما رأى و ما سمع و ما قال و ما قيل له و لم يذكر من احسن اليه ممن أساء به، و ما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدى لطريق لو سلكه ما لا يحصى، و لا يحفظ علما لو درسه عمره و لا يعتقد ديناً، و لا ينتفع بتجاربه، و لا [ صفحه ٤٨ ] يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الانسانيه.

## النعمة على الانسان فى الحفظ و النسيان

فانظر الى النعمة على الانسان فى هذه الخلال، و كيف موقع الواحد منها دون الجميع، و اعظم من النعمة على الانسان، فى الحفظ النعمة فى النسيان، فانه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبيه، و لا انقضت له حسره، و لا مات له حقد، و لا استمتع بشىء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، و لا رجاء غفله من سلطان، و لا فتره من حاسد. أفلا ترى كيف جعل فى الانسان الحفظ و النسيان و هما مختلفان متضادان، و جعل له فى كل منهما ضرباً من المصلحه. و ما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين فى هذه الأشياء المتضاده المتباينه، و قد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح و المنفعه. [ صفحه ٤٩ ]

## اختصاص الانسان بالحياه دون بقية الحيوانات

انظر يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره العظيم غناؤه، اعنى: الحياء. فلولا لم يقر ضيف و لم يوف بالعهده، و لم تقض الحوائج، و لم يتحر الجميل، و لم يتنكب القبيح فى شىء من الأشياء، حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً انما يفعل للحياه فان من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه و لم يصل ذا رحم، و لم يؤد امانه، و لم يعف عن فاحشه... أفلا ترى كيف و فى الانسان جميع الخلال التى فيها صلاحه و تمام أمره.

## اختصاص الانسان بالمنطق و الكتابه

تأمل يا مفضل ما أنعم الله - تقدرت اسماؤه - به على الانسان، من هذا المنطق الذى يعتبر به عما فى ضميره، و ما يخطر بقلبه، و ينتجه فكره و به يفهم عن غيره ما فى نفسه، و لولا ذلك كان بمنزله البهائم المهمله، التى لا تخبر عن [ صفحه ٥٠ ] نفسها بشىء، و لا تفهم عن مخبر شيئاً، و كذلك الكتابه التى بها تقيد اخبار الماضين للباقيين للآتين، و بها تخلد الكتب فى العلوم و الآداب و غيرها، و بها يحفظ الانسان ذكر ما يجرى بينه و بين غيره من المعاملات و الحساب و لولا لانقطع اخبار بعض الأزمنه عن بعض، و أخبار الغائبين عن أوطانهم، و درست العلوم، و ضاعت الآداب و عظم ما يدخل على الناس من الخلل فى أمورهم و معاملاتهم، و ما يحتاجون الى النظر فيه من امر دينهم، و ما روى لهم، مما لا يسعهم جهله، و لعلك تظن أنها مما يخلص اليه بالحيله و الفطنه، و ليست مما أعطيه الانسان من خلقه

و طباعه. و كذلك الكلام، انما هو شىء يصطلح عليه الناس، فيجربى بينهم و لهذا صار يختلف فى الأمم المختلفه، و كذلك لكتابه العربى و السريانى و العبرانى و الرومى، و غيرها من سائر الكتابه، التى هى متفرقه فى الأمم انما اصطلاحوا عليها، كما اصطلاحوا على الكلام، فيقال لمن ادعى ذلك: أن الانسان و ان كان له فى الأمرين جميعا فعل أو حيله، فان الشىء الذى يبلغ به ذلك الفعل و الحيله، [ صفحه ٥١ ] عطيه و هبه من الله عزوجل له فى خلقه، فانه لو لم يكن له لسان مهياً للكلام، و ذهن يهتدى به للأمر، لم يكن ليتكلم ابدا و لو لم تكن له كف مهينه و اصابع للكتابه، لم يكن ليكتب ابدا. و اعتبر ذلك من البهائم التى لا كلام لها و لا كتابه، فأصل ذلك فطره البارى جل و عز، و ما تفضل به على خلقه، فمن شكر أثيب، و من كفر فان الله غنى عن العالمين.

### اعطاء الانسان ما يصلح دينه و دنياه و منعه مما سوى ذلك

فكر يا مفضل فيما اعطى الانسان علمه و ما منع، فانه أعطى جميع علم ما فيه صلاح دينه و دنياه فمما فيه صلاح دينه معرفه الخالق تبارك و تعالى بالدلائل و الشواهد القائمه فى الخلق، و معرفه الواجب عليه، من العدل على الناس كافه. و بر الوالدين، و أداء الأمانه، و مواساه أهل الخله، و اشباه ذلك، مما قد توجد معرفته، و الاقرار، و الاعتراف به [ صفحه ٥٢ ] فى الطبع و الفطره، من كل امه موافقه او مخالفه، و كذلك أعطى علم ما فيه صلاح دنياه، كالزراعه و الغراس، و استخراج الأرضين، و اقتناء الأغنام و الأنعام، و استنباط المياه، و معرفه العقاقير

التي يستشفى بها من ضروب الأسقام، و المعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر، و ركوب السفن، و الغوص في البحر، و ضروب الحيل في صيد الوحش و الطير و الحيتان، و التصرف في الصناعات و وجوه المتاجر و المكاسب، و غير ذلك مما يطول شرحه و يكثر تعداده، مما فيه صلاح أمره في هذه الدار. فأعطى علم ما يصلح به دينه و دنياه، و منع ما سوى ذلك، مما ليس في شأنه و لا- طاقته أن يعلم. كعلم الغيب و ما هو كائن. و بعض ما قد كان أيضا، كعلم ما فوق السماء و ما تحت الأرض. و ما في لجج البحار و اقطار العالم، و ما في قلوب الناس و ما في الأرحام و اشباه هذا مما حجب عن الناس علمه. و قد ادعت طائفه من الناس هذه الأمور، فأبطل دعواهم ما يبين من خطئهم، فيما يقصون عليه و يحكمون به فيما ادعوا عليه. [ صفحہ ۵۳ ] فانظر كيف اعطى الانسان علم جميع ما يحتاج اليه لدينه و دنياه، و حجب عنه ما سوى ذلك، ليعرف قدره و نقصه و كلال- الأمرين فيها صلاحه.

### ما ستر عن الانسان علمه من مده حياته

تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الانسان علمه من مده حياته، فانه لو عرف مقدار عمره - و كان قصير العمر - لم يتهنأ بالعيش، مع ترقب الموت و توقعه، لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزله من قد فنى ماله، أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر، و الوجل من فناء ماله و خوف الفقر على أن الذى يدخل على الانسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال، لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف

منه، فيسكن الى ذلك، و من أيقن بفناء العمر استحکم عليه اليأس و ان كان طويل العمر، ثم عرف ذلك، وثق بالبقاء، و انهمك في اللذات و المعاصي، و عمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته، ثم يتوب في آخر عمره، و هذا مذهب لا يرضاه الله من عباده و لا يقبله، ألا ترى لو أن عبدا لك عمل [ صفحہ ٥٤ ] على أنه يسخطك سنه و يرضيك يوما أو شهرا، لم تقبل ذلك منه، و لم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضم طاعتك و نصحك في كل الأمور؟ و في كل الأوقات، على تصرف الحالات (فان قلت) أو ليس قد يقيم الانسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته؟ (قلنا): أن ذلك شيء يكون من الانسان لغلبه الشهوات له و تركه مخالفتها. من غير أن يقدرها في نفسه، و يبنى عليه أمره، فيصفح الله عنه، و يتفضل عليه بالمغفرة، فاما من قدر أمره على أن يعصى ما بدا له، ثم يتوب آخر ذلك، فانما يحاول خديعه من لا يخادع، بأن يتسلف التلذذ في العاجل، و يعد و يمني نفسه التوبه في الآجل، و لأنه لا يفي بما يعد من ذلك، فان النزوع من الترفه و التلذذ و معاناه التوبه، و لا سيما عند الكبر و ضعف البدن، امر صعب، و لا يؤمن على الانسان، مع مدافعتة بالتوبه أن يرهقه الموت، فيخرج من الدنيا غير تائب، كما قد يكون على الواحد دين الى اجل، و قد يقدر على قضائه، فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الأجل، و قد نفذ المال، فيبقى الدين قائماً عليه. فكان خير الأشياء للانسان أن يستر عنه مبلغ عمره،

فيكون طول عمره يتقرب [ صفحه ٥٥] الموت، فيترك المعاصي، و يؤثر العمل الصالح (فأن قلت): و ها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته، و صار يتقرب الموت في كل ساعه يقارف الفواحش و ينتهك المحارم (قلنا): أن وجه التدبير في هذا الباب، هو الذي جرى عليه الأمر فيه فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوى و لا ينصرف عن المساوى، فانما ذلك من مرجه و من قساوه قلبه، لا من خطأ في التدبير، كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فان كان المريض مخالفا لقول الطبيب، لا يعمل بما يأمره و لا- ينتهى عما ينهاه عنه، لم ينتفع بصفته، و لم تكن الاساءه في ذلك للطبيب بل للمريض، حيث لم يقبل منه. و لئن كان الانسان مع ترقبه للموت كل ساعه لا يمتنع عن المعاصي، فانه لو وثق بطول البقاء كان احرى بأن يخرج الى الكباثر الفظيحه.... فترقب الموت على كل حال خير له من الثقه بالبقاء ثم أن ترقب الموت و ان كان صنف من الناس يلهون عنه، و لا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم، و ينزعون عن المعاصي، و يؤثرون العمل الصالح، و يجودون بالأموال و العقائل النفسيه في الصدقه على الفقراء و المساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه [ صفحه ٥٦] الخصله لتضييع أولئك حظهم منها.

### الأحلام و امتزاج صادقها بكاذبها و سر ذلك

فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها، فانها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء، و لو كانت كلها تكذب، لم يكن فيها منفعه، بل كانت فضلا لا معنى له، فصارت تصدق أحيانا، فيتنتفع بها الناس في مصلحه

يهتدى لها، أو مضره يتحذر منها، و تكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد.

## الأشياء المخلوقه لمآرب الانسان و ايضاح ذلك

فكر يا مفضل فى هذه الأشياء التى تراها موجوده معده فى العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، و الحديد للصناعات، و الخشب للسفن و غيرها و الحجاره للأرحاء و غيرها، و النحاس للأواني. و الذهب و الفضة للمعامله و الذخيره، و الحبوب للغذاء، و الثمار للتعفك، و اللحم [ صفحه ٥٧ ] للمآكل، و الطيب للتلذذ، و الأدوية للتصحح و الدواب للحموله. و الحطب للتوقد، و الرماد للكلس، و الرمل للأرض، و كم عسى أن يحصى المحصى من هذا و شبهه... رأيت لو أن داخلا دخل دارا، فنظر الى خزائن مملوءه من كل ما يحتاج اليه الناس، و رأى كل ما فيها مجموعا معدا لأسباب معروفه أكان يتوهم أنمثل هذا يكون بالاهمال، و من غير عمد؟ فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا من صنع الطبيعه فى العالم، و ما اعد فيه من هذه الأشياء. اعتبر يا مفضل بأشياء لمآرب الانسان، و ما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه، و كلف طحنه و عجنه و خبز، و خلق له الوبر لكسوته، فكلف ندفه و غزله و نسجه، و خلق له الشجر، فكلف غرسها و سقيها و القيام عليها، و خلقت له العقاقير لأدويته، فكلف لقطها و خطلها و صنعها، و كذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال. فانظر كيف كفى الخلقه التى لم يكن عنده فيها حيله. و ترك عليه فى كل شىء من الأشياء موضع عمل و حركه، لما له فى ذلك من الصلاح لأنه لو كفى هذا كله، حتى لا يكون له فى الأشياء موضع شغل و عمل، لما حملته

الأرض [ صفحہ ۵۸ ] اشرا و بطرا و لبلغ به ذلك الى أن يتعاطى أمورا فيها تلف نفسه، و لو كفى الناس كل ما يحتاجون اليه لما تهنأوا بالعيش و لا وجدوا له لذه... ألا ترى لو أن امرءا نزل بقوم، فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم و مشرب و خدمه، لتبرم بالفراغ و نازعتة نفسه الى التشاغل بشىء، فكيف لو كان طول عمره مكفياً لا يحتاج الى شىء؟ فكان من صواب التدبير فى هذه الأشياء التى خلقت للانسان: أن جعل له فيها موضع شغل: لكيلا تبرمه البطاله، و لتكفنه عن تعاطى ما لا يناله، و لا خير فيه ان ناله.

## الخبز و الماء رأس معاش الانسان و حياته

واعلم يا مفضل ان رأس معاش الانسان و حياته: الخبز و الماء... فانظر كيف دبر الأمر فيهما، فان حاجه الانسان الى الماء أشد من حاجته الى الخبز، و ذلك ان صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، و الذى يحتاج اليه من الماء أكثر مما يحتاج اليه من الخبز، لأنه يحتاج اليه لشربه و وضوئه و غسله و غسل ثيابه و سقى انعامه [ صفحہ ۵۹ ] و زرعه فجعل الماء مبدولاً لا يشتري لتسقط عن الانسان المؤنه فى طلبه و تكلفه، و جعل الخبز متعذراً لا ينال الا بالحيله و الحرکه، ليكون للانسان فى ذلك شغل يكفه عما يخرج اليه الفراغ من الأشهر و العبت... ألا- ترى أن الصبى يدفع الى المؤذب، و هو طفل لم تكمل ذاته للتعليم، كل ذلك ليشغل عن اللعب و العبت اللذين ربما جنيا عليه و على أهله المكروه العظيم. و هكذا الانسان لو خلا من الشغل، لخرج من الأشهر و العبت و البطر، الى

ما يعظم ضرره عليه و على من قرب منه. و اعتبر ذلك بمن نشأ فى الجده و رفاهيه العيش و الترفه و الكفايه، و ما يخرجه ذلك اليه.

### **اختلاف صور الناس و تشابه الوحوش و الطير و غيرها و الحكمة فى ذلك**

اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر، كما تتشابه الوحوش و الطير و غير ذلك، فانك ترى السرب من الطباء و القضاة تتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها و بين الأخرى، و ترى الناس مختلفه صورهم و خلقهم، حتى لا يكاد اثنان [ صفحه ٦٠ ] منهم يجتمعان فى صفة واحده. و العله فى ذلك أن الناس محتاجون الى أن يتعارفوا بأعيانهم و حلاهم، لما يجرى بينهم من المعاملات و ليس يجرى بين البهائم مثل ذلك، فيحتاج الى معرفه كل واحد منها بعينه و حليته. ألا ترى أن التشابه فى الطير و الوحش لا يضرها شيئا، ليس كذلك الانسان، فانه ربما تشابه التوأم تشابها شديدا فتعظم المؤنه على الناس فى معاملتهما، حتى يعطى أحدهما بالآخر، و يؤخذ احدهما بذنب الآخر، و قد يحدث مثل هذا فى تشابه الأشياء. فضلا عن تشابه الصور، فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التى لا تكاد تخطر بالبال، حتى وقف بها على الصواب، الا من وسعت رحمته كل شىء. لو رأيت تمثال الانسان مصورا على حائط، و قال لك قائل: ان هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع!... أكنت تقبل ذلك، بل كنت تستهزى به، فكيف تنكر هذا فى تمثال مصور جماد، و لا تنكر فى الانسان الحى الناطق. [ صفحه ٦١ ]

### **نمو أبدان الحيوان و توقفها و سبب ذلك**

لم صارت أبدان الحيوان - و هى تغذى أبدا - لا تنمى، بل تنتهى الى غايه من النمو، ثم تقف و لا تتجاوزها، لولا التدبير، فى ذلك، فان تدبير الحكيم فيها أن تكون ابدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت فى الكبير و الصغير، و صارت تنمى حتى تصل الى غايتها، ثم تقف ثم

لا تزيد، و الغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع و لو تنمى نموا دائما لعظمت ابدانها، و اشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف.

### ما يعتبر أجسام الانس من ثقل الحركة و المشى لو لم يصبها ألم

لم صارت أجسام الانس خاصه تثقل عن الحركة و المشى، و تجفو عن الصناعات اللطيفه، الا- لتعظيم المؤنه فيما يحتاج اليه الناس للملبس و المضجع و التكفين و غير ذلك، لو كان الانسان لا- يصيبه ألم و لا وجع، بم كان يرتدع [ صفحه ٦٢ ] عن الفواحش، و يتواضع لله، و يتعطف على الناس... أما ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع و استكان و رغب الى ربه فى العافيه، و بسط يده بالصدقه، و لو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار - الخبثاء - و يذل العصاه المرده، و بم كان الصبيان يتعلمون العلوم و الصناعات، و بم كان العبيد يذلون لأربابهم، و يذعنون لطاعتهم. أفليس هذا توبيخ (ابن أبى العوجاء) و ذويه الذين جحدوا التدبير. (و المانويه) الذين انكروا الوجع و الألم.

### انقراض الحيوان لو لم يلد ذكورا و اناثا

و لو لم يولد من الحيوان الا- ذكر فقط أو اثنى فقط ألم يكن النسل منقطعاً و باد مع أجناس الحيوان، فصار بعض الأولاد يأتى ذكورا و بعضها يأتى اناثا ليدوم التناسل و لا ينقطع. [ صفحه ٦٣ ]

### ظهور شعر العانه عند البلوغ و نبات اللحيه للرجل دون المرأة و ما فى ذلك من التدبير

لم صار الرجل و المرأة اذا أدركا تنبت لهما العانه، ثم تنبت اللحيه للرجل، و تتخلف عن المرأة. لولا التدبير فى ذلك، فانه لما جعل الله تبارك و تعالى الرجل قيما و رقيبا على المرأة، و جعل المرأة عرسا و خولا للرجل، اعطى الرجل اللحيه، لما له من العز و الجلاله و الهيئه، و منعها المرأة، لتبقى لها نضاره الوجه و البهجه التى تشاكل المفاكهه و المضاجعه أفلا ترى الخلقه و كيف تأتى بالصواب فى الأشياء، و تتخلل مواضع الخطأ فتعطي و تمنع على قدر الارب و المصلحه بتدبير الحكيم عزوجل. قال المفضل: ثم حان وقت الزوال، فقام مولاى الى الصلاه، و قال: بكر الى غدا انشاء الله تعالى... فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفته، مبتهجا بما أوتيته، حامدا الله تعالى عزوجل على ما انعم به على شاكرا لأنعمه على ما منحني بما عرفنيه مولاى، و تفضل به على، فتمت فى ليلتى [ صفحه ٦٤ ] مسرورا بما منحنيه، محبور بما علمنيه. [ صفحه ٦٥ ]

### المجلس ٠٢

#### اشاره

قال المفضل: فلما كان اليوم الثانى بكرت الى مولاى فاستؤذن لى فدخلت، فأمرنى بالجلوس فجلست فقال: -. الحمد لله مدبر الأدوار، و معيد الأكوار، طبقا عن طبق، و عالما بعد عالم، ليجزى الذين أسأؤوا بما عملوا، و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى، عدلا منه، تقدرت أسماؤه، و جلت آلاؤه، لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، يشهد بذلك قوله جل قدمه «فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره - و من يعمل مثقال ذره شرا يره» فى نظائر لها فى كتابه الذى فيه تبيان كل شىء و لا يأتية الباطل من بين يديه و لا من خلفه (تنزيل من حكيم حميد) و

لذلك قال سيدنا محمد صلوات الله عليه و على آله: «انما هي أعمالكم ترد اليكم». ثم أطرق الامام هنيهة و قال: يا مفضل الخلق حيارى [ صفحه ٦٦ ] عمهون سكارى فى طغيانهم يترددون، و بشياطينهم و طواغيتهم يقتدون، بصراء عمى لا يبصرون، نطقاء بكم لا يعقلون، سمعاء صم لا يسمعون، رضوا بالدون، و حسبوا، انهم مهتدون، حادوا عن مدرجه الاكياس و رتعوا فى مرعى الارجاس الانجاس، كأنهم من مفاجآت الموت آمنون، و عن المجازات مزحزون، يا ويلهم ما أشقاهم، و أطول عناءهم و شد بلاءهم «يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا و لا هم ينصرون - الا من رحم الله!» قال المفضل: فبكيت لما سمعت منه!... فقال: لا تبك تخلصت اذ قبلت، و نجوت اذ عرفت.

### ابنيه أبدان الحيوان و تهيئتها و ايضاح ذلك

ثم قال: ابتدى ء لك بذكر الحيوان ليتضح لك من امره ما وضح لك من غيره. فكر فى أبنيه أبدان الحيوان، و تهيئتها على ما هى عليه فلا هى صلاب كالحجاره، و لو كانت كذلك لا تنشى، و لا تتصرف فى الأعمال، و لا هى على غايه اللين و الرخاوه، فكانت لا تتحمل، و لا تستقل [ صفحه ٦٧ ] بأنفسها، فجعلت من لحم رخو ينشى، تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب و عروق تشده، و تضم بعضه الى بعض، و غلفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله و اشباه ذلك، هذه التماثيل التى تعمل من العيدان، و تلف بالخرق و تشد بالخيوط، و تطفى فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزله العظام، و الخرق بمنزله اللحم، و الخيوط بمنزله العصب و العروق، و الطلاء بمنزله الجلد، فان جاز أن يكون الحيوان المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع جاز أن يكون

ذلك فى هذه التماثل الميته، فان كان هذا غير جائز فى التماثل فبالحرى أن لا يجوز فى الحيوان.

### **اجساد الانعام و ما اعطيت و ما منعت و سبب ذلك**

و فكر يا مفضل - بعد هذا - فى اجساد الانعام فانها حين خلقت على ابدان الانس من اللحم و العظم و العصب، اعطيت ايضا السمع و البصر ليبلغ الانسان حاجته، فانها لو كانت عميا صما لما انتفع بها الانسان و لا تصرفت فى شىء من مآربه، ثم منعت الذهن و العقل لتدل للانسان، فلا [ صفحه ٦٨ ] تمتنع عليه، اذا كدها الكد الشديد، و حملها الحمل الثقيل. فان قال قائل أنه قد يكون للانسان عيب من الانس، يذلون و يذعنون بالكد الشديد، و هم مع ذلك غير عديمى العقل و الذهن. فيقال فى جواب ذلك: ان هذا الصنف من الناس قليل، فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تدعن به الدواب من الحمل و الطحن و ما أشبه ذلك، و لا يغرون بما يحتاج اليه منه... ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال، لأنه كان يحتاج مكان الجمل الواحد و البغل الواحد الى عده أناسى، فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقه من التعب الفادح فى ابدانهم و الضيق و الكد فى معاشهم.

### **خلق الأصناف الثلاثة من الحيوان**

فكر يا مفضل فى هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان و فى خلقها، على ما هى عليه مما فيه صلاح كل واحد منها. فالانس لما قدروا أن يكونوا ذوى ذهن و فطنه و علاج [ صفحه ٦٩ ] لمثل هذه الصناعات من البناء و التجاره و الصياغه و الخياطه، و غير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليمكنوا من القبض على الاشياء، و او كدها هذه الصناعات.

### **آكلات اللحم من الحيوان و التدبير فى خلقها**

و آكلات اللحم لما قدر أن تكون معاشها من الصيد، خلقت لهم أكف لطاف مدمجه ذوات براثن و مخالب تصلح لأخذ الصيد و لا تصلح للصناعات، و آكلات النبات لما قدر أن يكونوا، لا ذوات صنعه و لا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونه الأرض اذا حاولت طلب المرعى، و لبعضها حوافر ململمه ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيئها للركوب و الحمولة. تأمل التدبير فى خلق آكلات اللحم من الحيوان، حين خلقت ذوات أسنان حداد، و براثن شداد، و اشداق و افواه واسعة، فانه لما قدر أن يكون طعامها اللحم خلقت خلقه تشاكل ذلك و أعينت بسلامح، و أدوات تصلح للصيد، و كذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير و مخالب مهيئه [ صفحه ٧٠ ] لفعالها، و لو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد اعطيت ما لا تحتاج اليه، لأنها لا تصيد و لا تأكل اللحم، و لو كانت السباع ذوات اظلاف قد منعت ما تحتاج اليه، اعنى السلاح الذى تصيد به و تعيش. أفلا ترى كيف اعطى كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه و طبقته. بل ما فيه بقاؤه و صلاحه.

### **ذوات الأربع و استقلال اولادها**

انظر الآن الى ذوات الاربع كيف تراها تتبع اماتها - جمع أم و تقال للحيوان - مستقلة بأنفسها لا تحتاج الى الحمل و التربيه كما تحتاج اولاد الانس، فمن اجل أنه ليس عند اماتها ما عند امهات البشر من الرفق و العلم بالتربيه، و القوه عليها بالأكف و الأصابع المهيئه لذلك أعطيت النهوض و الاستقلال بأنفسها و كذلك ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج و الدراج و القبيج، تدرج و

تلقط حين تنقأ عنها البيضه. فأما ما كان

منها ضعيفا لا نهوض فيه، كمثل فراخ الحمام و اليمام و الحمر فقد جعل فى الامهات فضل [ صفحه ٧١ ] عطف عليها، فصارت تمنح الطعام فى افواها بعد ما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها، و لذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيره مثل ما ترزق الدجاج، لتقوى الأم على تربيته فراخها فلا تفسد و لا تموت فكلا أعطى بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير.

### قوائم الحيوان و كيفيه حركتها

أنظر الى قوائم الحيوان كيف تأتى ازواجاً، لتتهياً للمشى، و لو كانت أفراداً لم تصلح لذلك، لأن الماشى ينقل قوائمه يعتمد على بعض فذو القوائم ينقل واحده و يعتمد على واحده، و ذو الأربع ينقل اثنتين و يعتمد على اثنتين و ذلك من خلاف، لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من احد جانبيه، و يعتمد على قائمتين من الجانب الآخر، لم يثبت على الأرض، كما يثبت السرير و ما اشبهه، فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره، و ينقل الأخرين ايضا من خلاف، فيثبت على الأرض، و لا يسقط اذا مشى. [ صفحه ٧٢ ]

### انقياد الحيوانات المسخره للانسان و سببه

أما ترى الحمار كيف يذل للطحن و الحمولة و هو يرى الفرس مودعا منعماً، و البعير لا يطيقه عدو رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبى؟ و الثور الشديد كيف يذعن لصاحبه، حتى يضع النير على عنقه، و يحرث به؟ و الفرس الكريم يركب السيوف و الأسننه بالمواتاه لفارسه و القطيع من الغنم يرعاه واحد، و لو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها فى ناحيه لم يلحقها. و كذلك جميع الأصناف المسخره للانسان.... كانت كذلك؟ الا بأنها عدمت العقل و الرويه، فانها لو كانت تعقل و تتروى فى الأمور كانت خليفه أن تلتوى على الانسان فى كثير من مآربه حتى يمتنع الجمال على قائده و الثور على صاحبه، و تفرق الغنم عن راعيها و اشباه هذا من الأمور. [ صفحه ٧٣ ]

### افتقاد السباع للعقل و الرويه و فائده ذلك

و كذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل و رويه فتوازت على الناس، كانت خليفه أن تجتاحهم، فمن كان يقوم للاسد و الذئاب و النمور و الدبيه، لو تعاونت و تظاهرت على الناس؟... أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها و صارت مكان ما كان يخاف من أقدامها و نكايتها، تهاب مساكن الناس و تحجم عنها، ثم لا تظهر و لا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل، فهى مع صولتها كالكائنات من الانس بل مقموعه ممنوعه منهم و لو كان ذلك لساورتهم فى مساكنهم و ضيقت عليهم.

### عطف الكلب على الانسان و محاماته عنه

ثم جعل الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكة و محاماه عنه، و حافظ له، ينتقل على الحيطان و السطوحى فى ظلمه الليل لحراسه منزل صاحبه و ذب الذعار عنه، و يبلغ [ صفحه ٧٤ ] من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه و دون ماشيته و ماله و يألفه غايه الالف حتى يصبر معه على الجوع و الجفوه... فلم طبع الكلب على هذه الألفه و المحبه؟ الا ليكون حارسا للانسان له عين بأنياب و مخالب، و نباح هائل، ليدعر منه السارق، و يتجنب المواضع التى يحميها و يخفها.

### وجه الدابه و فمها و ذنبها و شرح ذلك

يا مفضل تأمل وجه الدابه كيف هو...؟ فانك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها، لئلا تصدم حائطا، أو تتردى فى حفرة و ترى الفم مشقوقا شقا فى اسفل الخطم و لو شق كمكان الفم من الانسان فى مقدم الذقن، لما استطاع أن يتناول به شيئا من الأرض ألا ترى أن الانسان لا يتناول الطعام بفيه و لكن بيده، تكرمه له على سائر الآكلات، فلما لم يكن للدابه يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقا من أسفله، لتقبض على العلف ثم تقضمه، و اعينت بالجحفله لتتناول بها ما قرب و ما بعد... [ صفحه ٧٥] اعتبر بذنيها و المنفعه لها فيه، فانه بمنزله الطبق على الدبر و الحياء جميعا، يواريهما و يسترهما، و من منافعها فيه أن ما يبين الدبر و مراقى البطن منها و ضرر يجتمع عليها الذباب و البعوض فجعل لها الذنب كالمذبه تذب بها عن تلك المواضع، و منها أن الدابه تستريح الى تحريكه و تصريفه يمنه و يسره، فانه لما كان قيامها على الأربع بأسرها، و شغلت المقدمتان بحمل

البدن عن التصرف و التقلب، كان لها فى تحريك الذنب راحه، و فيه منافع اخرى يقصر عنها الوهم، فيعرف موقعها فى وقت الحاجه اليها، فمن ذلك أن الدابه ترتطم فى الوحل، فلا يكون شىء أعون على نهوضها، من الأخذ بذنبها، و فى شعر الذنب منافع للناس كثيره يستعملونها فى مآربهم، ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها، و جعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها، و لو كان اسفل البطن كما كان الفرج من المرأه لم يتمكن الفحل منها.... ألا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها كفاحا كما يأتي الرجل المرأه. [ صفحه ٧٦ ]

## الفيل و مشفره

تأمل مشفر الفيل و ما فيه من لطيف التدبير، فانه يقوم مقام اليد فى تناول العلف و الماء، و ازدرادهما الى جوفه، و لولا ذلك لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، لأنه ليست له رقبه يمدّها كسائر الانعام، فلما عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسد له، فيتناول به حاجته.... فمن ذا الذى عوضه مكان العضو الذى عدم ما يقوم مقامه الا الرؤوف بخلقه؟ و كيف يكون هذا بالاهمال - كما قالت الظلمه -؟ فان قال قائل: فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟ قيل ان رأس الفيل و أذنيه أمر عظيم، و ثقل ثقيل، فلو كان ذلك على عنق عظيم، لهدها و أوهنها، فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفناه، و خلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول غذاءه، فصار مع العنق - مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته. [ صفحه ٧٧ ]

## حياء الأنثى من الفيله

انظر الآن كيف جعل حياء الانثى من الفيله فى اسفل بطنها؟ فاذا هاجت للضراب ارتفع و برز، حتى يتمكن الفحل من ضربها... فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيله على خلاف ما عليه فى غيرها من الانعام ثم جعلت فيه هذه الخله ليتهيأ للأمر الذى فيه قوام النسل و دوامه.

## الزرافه و خلقتها و كونها ليست من لقاح أصناف شتى

فكر فى خلق الزرافه، و اختلاف اعضائها، و شبيها باعضاء أصناف من الحيوان. فرأسها رأس فرس، و عنقها عنق جمل، و أظلافها أظلاف بقره، و جلدها جلد نمر. و زعم ناس من الجهال بالله عزوجل: أن نتاجها من فحول شتى، قالوا: و سبب ذلك أن اصنافا من حيوان البر اذا وردت الماء تنزرو على بعض السائمه، و ينتج مثل هذا الشخص الذى هو كالملتقط من اصناف شتى و هذا جهل من [ صفحه ٧٨ ] قائله، و قله معرفه بالبارى جل قدسه، و ليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف، فلا الفرس يلقح الجمل، و لا- الجمل يلقح البقر، و انما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله و يقرب من خلقه، كما يلقح الفرس الحمار، فيخرج بينهما البغل، و يلقح الذئب الضبع، فيخرج من بينهما السبع. - ولد الذئب من الضبع - على أنه ليس يكون فى الذى يخرج من بينهما عضو كل واحد منهما، كما فى الزرافه، عضو من الفرس و عضو من الجمل، و اظلاف من البقره، بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذى تراه فى البغل، فانك ترى رأسه و أذنيه و كفله - بمجزه - و ذنبه و حوافره وسطا من بين هذه الأعضاء من الفرس و الحمار و شحيجه - صوته - كالممتزج من سهيل الفرس و نهيق

الحمارة، فهذا دليل على أنه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتى، كما زعم الجاهلون، بل هي خلق عجب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء، و ليعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها، في أيها شاء و يفرق ما شاء منها في أيها شاء، و يزيد في الخلقه ما شاء. و ينقص منها ما شاء.. دلالة على [ صفحة ٧٩] قدرته على الأشياء، و أنه لا يعجز شيء عن إرادته جل و تعالَى... فاما طول عنقها و المنفعة لها في ذلك فان منشأها و مرعاها في الغياطل الكثيفه - الأشجار - ذوات أشجار شاهقه، ذاهبه طولاً في الهواء. فهي تحتاج الى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها.

## القرود و خلقته و الفرق بينه و بين الانسان

تأمل خلقه القرود و شبهه بالانسان في كثير من أعضائه أعنى الرأس و الوجه و المنكبين و الصدر، و كذلك أحشائه شبيهه أيضاً بأحشاء الانسان و خص مع ذلك بالذهن و الفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يؤمىء اليه و يحكى كثيرا مما يرى الانسان يفعله، حتى أنه يقرب من خلق الانسان و شمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه. أن يكون عبره للانسان في نفسه فيعلم أنه من طينه البهائم و سنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب. و أنه لو لا فضيله فضلها بها في الذهن و العقل و النطق كان كبعوض البهائم على أن في جسم القرود فضولا- اخرى تفرق بينه و بين الانسان كالخطم [ صفحة ٨٠] و الذنب المسدل و الشعر المجلل للجسم كله. و هذا لم يكن مانعا للقرود أن يلحق بالانسان لو اعطى مثل ذهن

الانسان و عقله و نطقه و الفصل الفاصل بينه و بين الانسان - فى الحقيقه - هو النقص فى العقل و الذهن و النطق.

### اكساء أجسام الحيوانات و خلقه أقدامها بعكس الانسان و أسباب ذلك

انظر يا مفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوه من الشعر و الوبر و الصوف لتقيها من البرد و كثره الآفات ألبست الأظلاف و الحافر و الاخفاف لتقيها من الحفاء اذ كانت لا أيدى لها و لا أكف و لا أصابع مهياه للغزل و النسج فكفوا بأن جعل كسوتهم فى خلقهم باقيه عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها و استبدال بها. فأما الانسان فانه ذو حيله و كف مهياه للعمل. فهو ينسج و يغزل و يتخذ لنفسه الكسوه و يستبدل بها حالاً بعد حال. و له فى ذلك صلاح من جهات. و من ذلك أنه يشتغل [ صفحه ٨١ ] بصنعه اللباس عن العبث و ما تخرجه اليه الكفايه. و منها أنه يستريح الى خلع كسوته اذا شاء و لبسها اذا شاء و منها أن يتخذ لنفسه من الكسوه ضروبا لها جمال و روعه فيتلذذ بلبسها و تبديلها و كذلك يتخذ بالرفق من الصنعه ضروبا من الخفاف و النعال يقى بها قدميه. و فى ذلك معائنش لمن يعمله من الناس و مكاسب يكون فيها معائنشهم و منها أقواتهم و أقوات عيالهم. فصار الشعر و الوبر و الصوف يقوم للبهائم مقام الكسوه و الأظلاف و الحوافر و الاخفاف مقام الحذاء.

### موراه البهائم عند احساسها بالموت

فكر يا مفضل فى خلقه عجيبة جعلت فى البهائم، فانهم يوارون انفسهم اذا ماتوا، كما يوارى الناس موتاهم، و الا فآين جيف هذه الوحوش و السباع و غيرها، لا يرى منها شىء، و ليست قليله فتخفى لقلتها؟ بل لو قال قائل: أنها أكثر من الناس لصدق. فاعتبر فى ذلك بما تراه فى الصحارى و الجبال من [ صفحه ٨٢ ] اسراب

الظباء و المها و الحمير الوحش و الوعول و الأيائل و غير ذلك من الوحوش و اصناف السباع من الأسد و الضباع و الذئاب و النمر و غيرها، و ضروب الهوام و الحشرات و دواب الأرض، و كذلك اسراب الطير من الغربان و القطا و الاوز و الكراكي و الحمام و سباع الطير جميعا، و كلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع، فاذا احسوا بالموت كمنوا في مواضع خفيه فيموتون فيها، و لو لا ذلك لامتلأت الصحارى منها حتى تفسد رائحه الهواء و تحدث الأمراض و الوباء. فانظر الى هذا الذى يخلص اليه الناس، و عملوه بالتمثيل الأول الذى مثل لهم كيف جعل طبعها و اذكارا فى البهائم و غيرها، ليسلم الناس من معره ما يحدث عليهم من الأمراض و الفساد.

### الفتن التى جعلت فى البهائم: الأيل و الثعلب و الدلفين

فكر يا مفضل فى الفتن التى جعلت فى البهائم لمصلحتها، بالطبع و الخلقه، لطفاً من الله عزوجل لهم، [صفحه ٨٣] لئلا يخلو من نعمه الله عزوجل فى واحد من خلقه لا بعقل و رويه، فأن (الأيل) يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع عن شرب الماء، خوفا من أن يدب السم فى جسمه فيقتله، و يقف على الغدير و هو مجهود عطشا، فيعج عجيجا عاليا، و لا يشرب منه، و لو شرب لمات من ساعته. فانظر الى ما جعل من طباع هذه البهيمة، من تحمل الظمأ الغالب الشديد، خوفا من المضرة فى الشرب، و ذلك مما لا يكاد الانسان العاقل المميز يضبطه من نفسه. و (الثعلب) اذا اعوزه الطعم، تماوت و نفخ بطنه، حتى يحسبه الطير ميتا، فاذا وقعت عليه لتنهشه، وثب عليها فأخذها. فمن أعان

الثعلب العديد النطق و الرويه بهذه الحيله، الا من توكل بتوجيه الرزق له من هذه و شبهه. فانه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى عليه السباع من مساوره الصيد، اعين بالدهاء و الفطنه و الاحتيال لمعاشه. و (الدلفين) يلتمس صيد الطير، فيكون حيلته فى ذلك أن يأخذ السمك فيقتله و يسرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته و يثور الماء الذى عليه حتى لا يتبين شخصه، [ صفحه ٨٤] فاذا وقع الطير على السمك الطافى و ثب اليها فاصطادها. فانظر الى هذه الحيله كيف جعلت طبعا فى هذه البهيمة لبعض المصلحه.

## التنين و السحاب

قال المفضل فقلت: اخبرنى يا مولاي عن التنين و السحاب، فقال عليه السلام: ان السحاب كالموكل به، يختطفه حيثما ثقفه، كما يختطف حجر المغناطيس الحديد، فهو لا- يطلع رأسه فى الأرض خوفا من السحاب، و لا- يخرج الا فى القميص مره اذا صحت السماء فلم يكن فيها نكته من غيمه. قلت: فلم و كل السحاب بالتنين يرصده و يختطفه اذا وجدته؟ قال: ليدفع عن الناس مضرتة. [ صفحه ٨٥]

## فى الذره و النمل و اسد الذباب و العنكبوت و طبائع كل منهما

قال المفضل فقلت: قد وصفت لى يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر، فصف لى الذره و النمله و الطير، فقال عليه السلام: يا مفضل تأمل وجه «الذره» الحقيقه الصغيره هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير و الصواب فى خلق الذره؟ الا- من التدبير القائم فى صغير الخلق و كبيره. انظر الى «النمل» و احتشاده فى جمع القوت و اعداده، فانك ترى الجماعه منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزله جماعه من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل فى ذلك من الجد و التشمير ما ليس للناس مثله... أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون الى الحب فيضمونه قطعاً. لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فان أصابه ندى اخرجوه فنشروه حتى يجف، ثم لا يتخذ النمل الزبيه الا فى نشز - المكان المرتفع - من الأرض [ صفحه ٨٦] كيلا- يفيض السيل فيغرقها، و كل هذا منه بلا عقل و لا رويه، بل خلقه خلق عليها لمصلحه من الله جل و عز. انظر الى هذا الذى يقال له «الليث» - أحد أنواع العناكب - و تسميه العامه «أسد الذباب» و ما أعطى من الحيله و

الرفق فى معاشه، فانك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريبا منه. تركه مليا حتى كأنه موات لا حراك به، فاذا رأى الذباب قد أطمأن و غفل عنه، دب ديبيا دقيقا، حتى يكون منه بحيث تناله و تثبه، ثم يشب عليه فيأخذه، فاذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله، مخافه أن ينجو منه، فلا- يزال قبضا عليه، حتى يحس بأنه قد ضعف و استرخى ثم يقبل عليه فيفترسه، و يحيى بذلك منه. فأما «العنكبوت» فانه ينسج ذلك النسج، فيتخذه - شركا و مصيده للذباب، ثم يكمن فى جوفه، فاذا نشب فيه الذباب أحال عليه يلدغه ساعه بعد ساعه، يعيش بذلك منه. فذلك يحكى صيد الكلاب و الفهود، و هذا يحكى صيد الاشراك و الحبائل. فانظر الى هذه الدويبه الضعيفه، كيف جعل فى طبيعها [ صفحه ٨٧ ] ما لا يبلغه الانسان الا بالحيله و استعمال الآلات فيها، فلا تزدرى بالشىء اذا كانت العبره فيه واضحه كالذره و النمله و ما أشبه ذلك فأن المعنى النفيس قد يمثل بالشىء الحقيقير، فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار و هو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

### جسم الطائر و خلقته

تأمل يا مفضل جسم الطائر و خلقته، فانه حين قدر أن يكون طائرا فى الجو، خفف جسمه و أدمج خلقه، و اقتصر به من القوائم الأربع على اثنتين، و من الأصابع الخمس على اربع، و من منفذين المزبل و البول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ محدد، ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه، كما جعلت السفينه بهذه الهيئه، لتشق الماء و تنفذ فيه، و جعل فى جناحيه و ذنبه ريشات طوال متان، لينهض بها للطيران

و كساه، كله الريش، ليتداخله الهواء فيقله، و لما قدر أن يكون طعمه الحب و اللحم يبلعه بلعا بلا مضغ، نقص من خلقه الانسان و خلق له منقار صلب جاسى يتناول [ صفحہ ۸۸ ] به طعمه، فلا ينسحج من لفظ الحب، و لا يتقصف من نهش اللحم، و لما عدم الاسنان، و صار يزدرد الحب صحيحا و اللحم غريضا اعين بفضل حراره فى الجوف تطحن له الطعام طحنا يستغنى به عن المضغ، و اعتبر ذلك بأن عجم العنب - النوى فى داخله - و غيره، يخرج من أجواف الانس صحيحا، و يطحن فى أجواف الطير لا يرى له أثر، ثم جعل مما يبيض بيضا، و لا يلد ولاده، لكيلا يثقل عن الطيران، فانه لو كانت الفراخ فى جوفه تمكث حتى تستحکم، لأثقلته و عاقته عن النهوض و الطيران، فجعل كل شىء من خلقه مشاكلا للأمر الذى قدر أن يكون عليه ثم صار الطائر السائح فى هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه اسبوعا و بعضها اسبوعين و بعضها ثلاثه أسابيع، حتى يخرج الفرخ من البيضه، ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسح حوصلته للغذاء، ثم يرييه و يغذيه بما يعيش به. فمن كلفه أن يلقط الطعام و الحب يستخرجه، بعد أن يستقر فى حوصلته، و يغذو به فراخه...؟ و لأى معنى يحتمل هذه المشقه. و ليس بذى رويه و لا تفكر، و لا يأمل فى فراخه ما يؤمل الانسان فى ولده من العز و الرفد و بقاء الذكر...؟ فهذا من فعله يشهد [ صفحہ ۸۹ ] أنه معطوف على فراخه، لعله لا يعرفها و لا يفكر فيها، و هى دوام النسل و بقاؤه لطفًا من الله تعالى ذكره.

## الدجاجه و تهيجه لحضن البيض و التفريخ

انظر الى «الدجاجه» كيف تهيج لحضن البيض و التفريخ، و ليس لها بيض مجتمع و لا وكر موطى، بل تنبعث و تنتفخ و تقوى و تمتنع من الطعام، حتى يجمع لها البيض، فتحضنه و تفرخ... فلم كان ذلك منها الا لاقامه النسل؟ و من أخذها باقامه النسل و لا رويه لها و لا تفكير، لو لا أنها مجبوله على ذلك؟

## خلق البيضه و التدبير فى ذلك

اعتبر بخلق البيضه، و ما فيها من المح الأصفر الخاثر و الماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ، و بعضه ليغتذى به، الى أن تنقاب عنه البيضه، و ما فى ذلك من التدبير، فانه لو كان نشوء الفرخ فى تلك القشره المستحفظه [ صفحه ٩٠ ] التى لا مساغ لشيء اليها، جعل معه فى جوفها من الغذاء ما يكتفى به الى وقت خروجه منها، كمن يحبس فى حبس حصين لا يوصل الى من فيه، فيجعل معه من القوت ما يكتفى به الى وقت خروجه منه.

## حوصله الطائر

فكر يا مفضل فى حوصله الطائر، و ما قدر له، فان مسلك الطعم الى القانصه ضيق، و لا ينفذ فيه الطعام الا قليلا قليلا، فلو كان الطائر لا يلقط حبه ثانيه، حتى تصل الأولى الى القانصه، لطلال عليه، و متى كان يستوفى طعمه؟. فانما يختلسه اختلاسا، لشده الحذر، فجعلت له الحوصله كالمخلاه المعلقه أمامه، ليوعى فيها ما ادرك من الطعم بسرعه، ثم تنفذه الى القانصه على مهل، و فى الحوصله ايضا خله اخرى، فان من الطائر ما يحتاج الى أن يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب اسهل عليه. [ صفحه ٩١ ]

## اختلاف ألوان الطير و عله ذلك

قال المفضل فقلت: أن قوما من المعطله يزعمون أن اختلاف الألوان و الأشكال فى الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط، و اختلاف مقاديرها المرج و الأهمال. قال: يا مفضل هذا الوشى الذى تراه فى الطواويس و الدراج و التدرج على استواء و مقابله، كنحو ما يخط بالأقلام، كيف يأتى به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف، و لو كان بالاهمال لعدم الاستواء و لكان مختلفا.

## ريش الطائر و وصفه

تأمل ريش الطير و كيف هو..؟ فانك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق، قد ألف بعضه الى بعض، كتأليف الخيط الى الخيط و الشعره الى الشعره، ثم ترى ذلك النسج اذا مددته يفتح قليلا و لا ينشق لتداخله الريح، فيقل الطائر اذا طار، و ترى فى وسط الريشه عمودا غليظا [ صفحه ٩٢ ] متينا قد نسج عليه الذى هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، و هو القصبه التى فى وسط الريشه، و هو مع ذلك أجوف، ليخف على الطائر و لا يعوقه عن الطيران.

## الطائر الطويل الساقين و التدبير فى ذلك

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين و عرفت ما له من المنفعه فى طول ساقيه، فانه أكثر ذلك فى ضحضاح من الماء

فتراه بساقين طويلين، كأنه ربيته فوق مرقب و هو يتأمل ما يدب فى الماء، فاذا رأى شيئاً مما يتقوت به، خطا خطوات رقيقه حتى يتناوله، لو كان قصير الساقين و كان يخطو نحو الصيد ليأخذه، يصيب بطنه الماء، فيثور و يذعر منه، فيفرق عنه، فخلق له ذلك العمودان ليحرك بهما حاجته و لا يفسد عليه مطلبه. تأمل ضروب التدبير فى خلق الطائر، فانك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق، و ذلك ليتمكن من تناول طعمه من الأرض و لو كان طويل الساقين قصير العنق، لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض و ربما أعين مع العنق [ صفحہ ۹۳ ] بطول المناقير، ليزداد الأمر عليه سهوله و امكانا أفلا ترى أنك لا تفتش شيئاً من الخلقه الا وجدته على غايه الصواب و الحكمة.

## العصافير و طلبها للأكل

انظر الى العصافير، كيف تطلب أكلها بالنهار فهى لا تفقده و لا تجده مجموعاً معداً، بل تناله بالحركة و الطلب، و كذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف فرقه. فلم يجعل مما لا يقدر عليه، اذ جعل بالخلق حاجه اليه، و لم يجعله مبدولاً ينال بالهويناء اذ كان لا- صلاح فى ذلك فانه لو كان يوجد مجموعاً معداً كانت البهائم تنقلب عليه، و لا تنقطع عنه حتى تبشم فتهلك. و كان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ الى غايه الأشر و البطر حتى يكثر الفساد و تظهر الفواحش. [ صفحہ ۹۴ ]

## معاش البوم و الهام و الخفاش

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التى لا- تخرج الا- بالليل، كمثلى البوم و الهام و الخفاش؟... قلت: لا يا مولاي. قال: ان معاشها من ضروب تنتشر فى الجو من البعوض و الفراش و أشباه الجراد و اليعاسيب. و ذلك أن هذه الضروب مبعوثه فى الجو لا يخلو منها موضع.. و اعتبر ذلك بأنك اذا وضعت سراجاً بالليل فى سطح أو عرصه دار، اجتمع عليه من هذه الضروب شىء كثير... فمن أين يأتى ذلك كله، الا- من القرب؟ فان قال قائل: أنه يأتى من الصحارى و البرارى، قيل له: كيف يوافى تلك الساعه من موضع بعيد، و كيف يبصر من ذلك البعد سراجاً فى دار محفوفه بالدور فيقصد اليه، مع أن هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب، فيدل ذلك على أنها منتشرة فى كل موضع من الجو، فهذه الأصناف، من الطير تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها. [ صفحہ ۹۵ ] فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التى لا تخرج الا بالليل من هذه الضروب المنتشرة فى الجو، و اعرف ذلك المعنى فى خلق

هذه الضروب المنتشرة، التي عسى أن يظن ظان انها فضل لا معنى له.

## خلقه الخفاش

خلق الخفاش خلقه عجيبه بين خلقه الطير و ذوات الأربع، هو الى ذوات الأربع أقرب، و ذلك أنه ذو اذنين ناشزتين و أسنان و وبر و هو يلد ولادا و يرضع و يبول، و يمشى اذا مشى على أربع، و كل هذا خلاف صفه الطير، ثم هو أيضا مما يخرج بالليل، و يتقوت بما يسرى فى الجو من الفراش و ما اشبهه، و قد قال قائلون أنه لا طعم للخفاش و ان غذاءه من النسيم وحده، و ذلك يفسد و يبطل من جهتين: احدهما خروج التفل و البول منه، فان هذا لا يكون من غير طعم، و الأخرى أنه ذو أسنان، و لو كان لا يطعم شيئا لم يكن للانسان فيه معنى، و ليس فى الخلقه شىء لا معنى له، و أما المآرب فيه فمعروفه، حتى أن زبله يدخل فى بعض [ صفحه ٩٦] الأعمال، و من أعظم الارب فيه خلقته العجيبه الداله على قدره الخالق جل ثناؤه، و تصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحه.

## حيله الطائر أبونمره بالحسكه و منفعتها

فأما الطائر الصغير الذى يقال له (ابن نمره) فقد عشنش فى بعض الأوقات فى بعض الشجر، فنظر الى حيه عظيمه قد اقبلت نحو عشه فاغره فاها، تبغيه لتبتلعه، فبينما هو يتقلب و يضطرب فى طلب حيله منها اذ وجد حسكه، فحملها فألقاها فى فم الحيه فلم تزل الحيه تلتوى و تتقلب حتى ماتت. أفرأيت لو لم اخبرك بذلك، كان يخطر ببالك او ببال غيرك أنه يكون من حسكه مثل هذه المنفعه، أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيله.. اعتبر بهذا و كثير من الأشياء يكون فيها منافع لا تعرف بحادث يحدث أو خبر يسمع

## النحل: عسله و بيوته

انظر الى النحل و احتشاده فى صنعه العسل، و تهيئه البيوت المسدسه و ما ترى فى ذلك من دقائق، فانك اذا تأملت العمل رأيت عجيبا لطيفا، و اذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس، و اذا رجعت الى الفاعل ألفتة غيبا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك، ففي هذه أوضح الدلاله على أن الصواب و الحكمة فى هذه الصنعه ليس للنحل بل هى للذى طبعه عليها، و سخره فيها لمصلحه الناس.

## الجراد و بلاؤه

انظر الى هذا الجراد ما أضعفه و أقواه!.. فانك اذا تأملت خلقه رأيت كأضعف الاشياء و ان دلفت عساكره نحو بلد من بلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه.. ألا- ترى أن ملكا من ملوك الأرض لو جمع خيله و رجله ليحمى بلاده [ صفحه ٩٨ ] من الجراد لم يقدر على ذلك. أفليس من الدلائل على قدره الخالق أن يبعث أضعف خلقه الى أقوى خلقه، فلا يستطيع دفعه.

## كثره الجراد

انظر اليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشى السهل و الجبل و البدو و الحضر، حتى يستر نور الشمس بكثرته، فلو كان هذا مما يصنع بالأيدى، متى كان تجتمع منه هذه الكثره؟ و فى كم سنه كان يرتفع فاستدل بذلك على القدره التى لا يؤدها شىء، و لا يكثر عليها.

## وصف السمك

تأمل خلق السمك و مشاكلته للأمر الذى قدر أن يكون عليه، فانه خلق غير ذى قوائم، لأنه لا يحتاج الى المشى، اذ كان مسكنه الماء و خلق غير ذى ريه، لأنه لا يستطيع أن يتنفس و هو منغمس فى اللجه، و جعلت له مكان القوائم [ صفحه ٩٩ ] اجنحه شداد يضرب بها فى جانبيه، كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبى السفينه، و كسا جسمه قشورا متانا متداخله كنداخل الدروع و الجواشن لتقيه من الآفات، فأعين بفضل حس فى الشم، لأن بصره ضعيف، و الماء يحجبه، فصار يشم الطعم من البعد البعيد، فينتجعه فيتبعه، و الا فكيف يعلم به و بموضعه؟ و اعلم أن من فيه الى صماخه منافذ، فهو يعب الماء بفيه، و يرسله من صماخيه فيتروح الى ذلك، كما يتروح غيره من الحيوان الى تنسم هذا النسيم.

## كثره نسل السمك و عله ذلك

فكر الآن فى كثره نسله و ما خص به من ذلك، فانك ترى فى جوف السمكه الواحد من البيض ما لا يحصى كثره، و العله فى ذلك أن يتسع لما يغتذى به من اصناف الحيوان، فان أكثرها يأكل السمك، حتى أن السباع أيضا فى حافات الآجام عاكفه على الماء أيضا كى ترصد السمك، فاذا مر بها خطفته، فلما كانت السباع تأكل السمك، و الطير [ صفحه ١٠٠ ] يأكل السمك، و الناس يأكلون السمك، و السمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثره.

فاذا أردت أن تعرف سعه حكمه الخالق، و قصر علم المخلوقين، فانظر الى ما فى البحار من ضروب السمك و دواب الماء و الأصداف و الأصناف التى لا تحصى، و لا تعرف منافعها الا الشىء بعد الشىء يدركه الناس بأسباب تحدث، مثل القرمز فانه لما عرف الناس صبغه، بأن كلبه تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذى يسمى الحلزون، فأكلته فاخضب خطمها بدمه فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه صبغاً، و أشباه هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال و زمانا بعد زمان. قال المفضل: و حان وقت الزوال، فقام مولاي عليه السلام الى الصلاة و قال: بكر الى غدا انشاء الله تعالى.. فانصرفت و قد تضاعفت سرورى بما عرفنيه، [صفحه ١٠١] مبتهجا بما منحنيه، حامدا لله على ما آتانيه، فبت ليلتى مسرورا مبتهجا. [صفحه ١٠٣]

### المجلس ٠٣

#### اشاره

فلما كان اليوم الثالث بكرت الى مولاي فاستؤذن لى فدخلت فأذن لى بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام: - الحمد لله الذى اصطفانا و لم يصطف علينا، اصطفانا بعلمه، و أيدنا بحلمه من شذ عنا فالنار مأواه، و من تفيأ بظل دوحتنا فالجنه مثواه... قد شرحت لك يا مفضل خلق الانسان، و ما دبر به، و تنقله فى احواله، و ما فيه من الاعتبار، و شرحت لك امر الحيوان... و انا ابتدىء الآن بذكر السماء و الشمس و القمر و النجوم و الفلك و الليل و النهار و الحر و البرد و الرياح و الجواهر الأربعة الأرض و الماء و الهواء و النار و المطر و الصخر و الجبال و الطين و الحجاره و النخل و الشجر و ما فى ذلك من الأدله و العبر. [صفحه

## لون السماء و ما فيه من صواب التدبير

فكر فى لون السماء و ما فيه من صواب التدبير، فان هذا اللون أشد الألوان موافقه و تقويه للبصر، حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شىء أضر ببصره ادمان النظر الى الخضرة و ما قرب منها الى السواد و قد وصف الحذاق منهم لمن كل بصره الاطلاع فى اجانه خضراء مملوءه ماء، فانظر كيف جعل الله جل و تعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر الى السواد ليمسك الأبصار المتقلبه عليه، فلا ينكأ فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذى أدركه الناس بالفكر و الرويه و التجارب، يوجد مفروغا منه فى الخلقه حكمه، بالغه ليعتبر بها المعتبرون، و يفكر فيها الملحدون، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

## طلوع الشمس و غروبها و المنافع فى ذلك

فكر يا مفضل فى طلوع الشمس و غروبها، لاقامه دولتى النهار و الليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فلم يكن الناس يسعون فى معائشهم، و يتصرفون فى [ صفحه ١٠٥ ] امورهم، و الدنيا مظلمه عليهم، و لم يكونوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذه النور و روحه.. و الأرب فى طلوعها ظاهر مستغنى بظهوره عن الاطئاب فى ذكره، و الزيادة فى شرحه... بل تأمل المنفعه فى غروبها، فلو لا غروبها لم يكن للناس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدوء و الراحة لسكون ابدانهم و جموم حواسهم و انبعاث القوه الهاضمه لهضم الطعام، و تنفيذ الغذاء الى الأعضاء، ثم كان الحرص يستحملهم من مداومه العمل، و مطاولته على ما يعظم نكايته فى ابدانهم، فان كثيرا من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم، لم يكن لهم هدوء و لا قرار، حرصا على الكسب و الجمع و الادخار، ثم كانت الأرض تستحمى بدوام الشمس بضياؤها، و يحمى كل

ما عليها من حيوان و نبات، فقدرها الله بحكمته و تدبيره، تطلع وقتا و تغرب وقتا، بمنزله سراج يرفع لأهل البيت تاره ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤا و يقرأوا، فصار النور و الظلمه، مع تضادهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه. [ صفحه ١٠٦ ]

### **التدبير و المصلحه فى الفصول الأربعة من السنه**

ثم فكر بعد هذا فى ارتفاع الشمس و انحطاطها لاقامه هذه الأزمنه الأربعة من السنه و ما فى ذلك من التدبير و المصلحه، ففى الشتاء تعود الحراره فى الشجر و النبات، فيتولد فيهما مواد الثمار، و يتكثف الهواء فينشأ منه السحاب و المطر، و تشتد أبدان الحيوان و تقوى، و فى الربيع تتحرك و تظهر المواد المتولده فى الشتاء، فيطلع النبات، و تنور الأشجار و يهيج الحيوان للسفاد، و فى الصيف يحتدم الهواء فتتضج الثمار، و تتحلل فضول الابدان، و يجف وجه الأرض، فتهياً للبناء و الأعمال، و فى الخريف يصفو الهواء، و ترتفع الأمراض، و تصح الأبدان، و يمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله، و يطيب الهواء فيه الى مصلح اخرى لو تفصيت لذكرها لطلال فيها الكلام. [ صفحه ١٠٧ ]

### **معرفة الأزمنه و الفصول الأربعة عن طريق حركه الشمس**

فكر الآن فى تنقل الشمس فى البروج الاثنى عشر لاقامه دور السنه و ما فى ذلك من التدبير. فهو الدور الذى تصح به الأزمنه الأربعة من السنه «الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف» تستوفيا على التمام، و فى هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات و الثمار، و تنتهى الى غاياتهم ثم تعود فيستأنف النشور و النمو... ألا ترى أن السنه مقدار مسير الشمس من الحمل الى الحمل. فبالسنه و اخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم، الى كل وقت و عصر من غابر الأيام، و بها يحسب الناس الأعمار و الأوقات المؤقته للديون و الاجازات و المعاملات، و غير ذلك من امورهم، و بمسير الشمس تكمل السنه، و يقوم حساب الزمان على الصحه. انظر الى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون؟ فانها لو كانت تبرزغ فى موضع

من السماء فتقف لا تعدوه لما [ صفحه ١٠٨ ] وصل شعاعها و منفعتها الى كثير من الجهات، لأن الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثم لا تزال تدور و تغشى جهه بعد جهه، حتى تنتهى الى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها فى أول النهار، فلا يبقى موضع من المواضع الا أخذ بقسطه من المنفعه منها، و الأرب التى قدرت له. و لو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا ترى كيف كان يكون للناس هذه الأمور الجليله التى لم يكن عندهم فيها حيله، فصارت تجرى على مجاريها لا تفتل و لا تتخلف عن مواقيتها لصالح العالم و ما فيه بقاؤه.

### الاستدلال بالقمر فى معرفه الشهور

استدل بالقمر ففيه دلالة جليله تستعملها العامه فى معرفه الشهور، و لا يقوم عليه حساب السنه. لأن دوره لا يستوفى الأزمنه الأربعة و نشوء الثمار و تصرمها، و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس [ صفحه ١٠٩ ] و سنيها، و صار الشهر من شهور القمر ينتقل، فيكون مره بالشتاء و مره بالصيف.

### ضوء القمر و ما فيه من المنافع

فكر فى انارته فى ظلمه الليل و الارب فى ذلك فانه مع الحاجه الى الظلمه لهدوء الحيوان و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح فى أن يكون الليل ظلمه داخيه لا- ضياء فيها، فلا- يمكن فيه شىء من العمل، لأنه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل، لضيق الوقت عليهم فى بعض الأعمال فى النهار، و لشده الحر و افراطه، فيعمل فى ضوء القمر اعمالا شتى، كحرث الأرض، و ضرب اللبن، و قطع الخشب، و ما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونه للناس على معائشهم اذا احتاجوا الى ذلك، وانسا للسائرين و جعل طلوعه فى بعض الليل دون بعض. و نقص مع ذلك عن نور الشمس و ضيائها، لكيلا ينسبط الناس فى العمل انبساطهم بالنهار، و يمتنعوا من الهدوء و القرار، فيهلكهم ذلك، و فى تصرف القمر خاصه فى مهله و محاقه و زيادته و نقصانه [ صفحه ١١٠ ] و كسوفه، من التنبيه على قدره الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصالح العالم ما يعتبر به المعتبرون.

### النجوم و اختلاف مسيرها و السبب فى أن بعضها راتبه و الأخرى متنقله

فكر يا مفضل فى النجوم و اختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك و لا تسير الا مجتمعها، و بعضها مطلقه تنتقل فى البروج و تفرق فى مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين، احدهما عام مع الفلك نحو المغرب، و الآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنمله التى تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين، و النمله تدور ذات الشمال و النمله فى ذلك تتحرك حركتين مختلفتين: احدهما بنفسها فتتوجه أمامها، و الأخرى مستكرهه مع الرحى تجذبها الى خلفها... فاسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هى عليه بالاهمال، من غير عمد و لا صانع

لها ما منعها أن تكون كلها راتبه أو تكون كلها منتقله، فان الأهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين [صفحه ١١١] على وزن و تقدير؟ ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد و تدبير و حكمه و تقدير، و ليس باهمال كما يزعم المعطله، فان قال قائل: و لم صار بعض النجوم راتبه و بعضها منتقله؟ قلنا: انها لو كانت كلها راتبه لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقله، و مسيرها في كل برج من البروج، كما يستدل بها على أشياء مما يحدث في العالم، ينتقل الشمس و النجوم في منازلها، و لو كانت كلها منتقله، لم يكن لمسيرها منازل تعرف، و لا رسم يوقف عليه، لأنه انما يوقف عليه بمسير المنتقله منها ينتقلها في البروج الراتبه كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها او لو كان تنقلها بحال واحد لاختلاط نظامها، و بطلت المآرب فيها، و لساغ القائل أن يقول أن كينونتها على حال واحده توجب عليها الاهمال من الجبهه التي وصفنا، ففي اختلاف سيرها و تصرفها في ذلك من المآرب و المصلحه، أبين دليل على العمد و التدبير فيها. [صفحه ١١٢]

### فوائد بعض النجوم

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنه و تحتجب في بعضها كمثل الثريا و الجوزاء و الشعريين و سهيل، فانها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حاله دلالات يعرفها الناس، و يهتدون بها لبعض امورهم، كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور و الجوزاء اذا طلعت، و احتجابها اذا احتجبت، فصار ظهور واحد و احتجابها في وقت غير الوقت الآخر، لينتفع

الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدثه، و ما جعلت الثريا و اشباهها تظهر حيناً و تحتجب حيناً الا لضرب من المصلحه و كذلك جعلت بنات نعش ظاهره لا تغيب لضرب آخر من المصلحه، فانها بمنزله الاعلام التي يهتدى بها الناس فى البر و البحر للطرق المجهوله، و كذلك أنها لا تغيب و لا تتوارى فهم ينظرون اليها متى أرادوا أن يهتدوا بها الى حيث شأؤوا، و صار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الأرب و المصلحه، و فيهما مآرب اخرى علامات و دلالات على اوقات كثيره من الأعمال، كالزراعه و الغراس و السفر فى البر و البحر، و أشياء مما يحدث فى الأزمنه من الأمطار [ صفحه ١١٣ ] و الرياح و الحر و البرد، و بها يهتدى السائرون فى ظلمه الليل، لقطع القفار الموحشه و اللجج الهائله، مع ما فى ترددّها فى كبد السماء مقبله و مدبره و مشرقه و مغربه من العبر، فانها تسير أسرع السير و أحثه. رأيت لو كانت الشمس و القمر و النجوم بالقرب منا، حتى يتبين لنا سرعه سيرها بكنه ما هى عليه، ألم تكن تستخطف الأبصار بوهجها و شعاعها كالذى يحدث أحياناً من البروق اذا توالى و اضطربت فى الجوّ؟ و كذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا فى قبه مكلمه بمصاييح تدور حولهم دورانا حيثنا لحارت أبصارهم حتى يخرؤوا لوجوههم. فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها فى البعد البعيد، لكيلا تضر فى الأبصار، و تنكأ فيها، و بأسرع السرعه. لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجه فى مسيرها، و جعل فيها جزءاً يسيراً من الضوء، ليسد مسد الضوء اذا لم يكن قمر، و يمكن فيه الحركه اذا حدثت

ضروره، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافي في جوف الليل، فان لم يكن شىء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه. [صفحه ١١٤] فتأمل اللطف و الحكمه فى هذا التقدير، حين يجعل للظلمه دوله و مدته لحاجه اليها، و جعل خلالها شىء من الضوء للمآرب التى وصفنا.

### الشمس و القمر و النجوم و البروج تدل على الخالق

فكر فى هذا الفلك بشمسه و قمره و نجومه و بوجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم، بهذا التقدير و الوزن لما فى اختلاف الليل و النهار و هذه الأزمان الأربعة المتواليه من التنبيه على الأرض و ما عليها من أصناف الحيوان و النبات من ضروب المصلحه، كالذى بينت و شخصت لك آنفا و هل يخفى على ذى لب أن هذا تقدير مقدر و صواب و حكمه من مقدر حكيم، فان قال قائل: ان هذا شىء اتفق أن يكون هكذا؟ فما منعه أن يقول مثل هذا فى دولاب يراه يدور و يسقى حديقته فيها شجر و نبات فىرى كل شىء من آلاته مقدرًا بعضه يلقى بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقته و ما فيها. و بم كان يثبت هذا القول لو قاله و ما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ أفينكر أن يقول فى دولاب [صفحه ١١٥] خشب مصنوع بحيله قصيره لمصلحه قطعه من الأرض، أنه كان بلا صانع و مقدر، و يقدر أن يقول فى هذا الدولاب الأعظم، المخلوق بحكمه تقصر عنها أذهان البشر، لصلاح جميع الأرض و ما عليها أنه شىء اتفق أن يكون بلا صنعه و لا تقدير لو اعتل هذا الفلك، كما تعتل الآلات التى تتخذ للصناعات و غيرها، أى شىء كان عند

الناس من الحيله فى أصلحه.

## مقادير الليل والنهار

فكر يا مفضل فى مقادير النهار والليل، كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كل واحد منهما - اذ امتد - الى خمس عشره ساعه لا يجاوز ذلك أفرايت لو كان النهار يكون مقدار ه مائه ساعه أو مائتى ساعه؟ ألم يكن فى ذلك بوار كل ما فى الأرض من حيوان و نبات؟ أما الحيوان فكان لا يهدأ و لا يقر طول هذه المده، و لا البهائم كانت تمسك عن الرعى لو دام لها ضوء النهار، و لا الانسان كان يفتر عن العمل و الحركه، و كان ذلك ينهكها اجمع [ صفحه ١١٦ ] و يؤديها الى التلف، و أما النبات فكان يطول عليه حر النهار و وهج الشمس حتى يجف و يحترق كذلك الليل لو امتد مقدار هذه المده كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركه و التصرف فى طلب المعاش، حتى تموت جوعا، و تخمد الحراره الطبيعيه عن النبات، حتى يعفن و يفسد، كالذى تراه يحدث على النبات اذا كان فى موضع لا تطلع عليه الشمس.

## الحر و البرد و فوائدهما

اعتبر بهذا الحر و البرد كيف يتعاوران [١] العالم، و يتصرفان هذا التصرف فى الزيادة و النقصان و الاعتدال، لاقامه هذه الأزمنه الأربعه من السنه و ما فيهما من المصالح، ثم هما بعد دباغ الابدان التى عليها بقاؤها و فيهما صلاحها، فانه لولا الحر و البرد و تداولهما الأبدان لفسدت و اخوت [٢] و انتكثت. فكر فى دخول احدهما على الآخر بهذا التدريج [ صفحه ١١٧ ] و الترسل، فانك ترى أحدهما ينقص شيئا بعد شىء، و الآخر يزيد مثل ذلك، حتى ينتهى كل واحد منهما منتهاه فى الزيادة و النقصان، و لو كان دخول احدهما

على الآخر مفاجأه، لأضر ذلك بالابدان و اسقمها. كما أن احدكم لو خرج من حمام حار الى موضع البروده، لضره ذلك و أسقم بدنه فلم يجعل الله عزوجل هذا الترسل فى الحر و البرد، الا للسلامه من ضرر المفاجأه و لم جرى الأمر على ما فيه السلامه من ضرر المفاجأه لولا التدبير فى ذلك؟ فان زعم زاعم: أن هذا الترسل فى دخول الحر و البرد انما يكون لابطاء مسير الشمس فى ارتفاعها و انحطاطها، فان اعتل فى الابطاء بعد ما بين المشرقين سئل عن العله فى ذلك، فلا تزال هذه المسأله ترقى معه الى حيث رقى من هذا القول، حتى استقر عن العمد و التدبير... لولا الحر لما كانت الثمار الجاسيه [٣] المره تنضج فتلين و تعذب، حتى يتفكه بها رطبه و يابسه... و لولا- البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا، و يريع الريح الكثير الذى يتسع للقوت، و ما يرد فى الأرض للبذر... افلا- ترى ما فى الحر و البرد، من عظيم الغناء و المنفعه، وكلاهما مع [ صفحه ١١٨ ] غنائه و المنفعه فيه يؤلم الأبدان و يمضها [٤] و فى ذلك عبره لمن فكر، و دلالة على أنه من تدبير الحكيم، فى مصلحه العالم و ما فيه.

## الريح و ما فيها

و أنبهك يا مفضل على الريح و ما فيها، ألتست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث الكرب، الذى يكاد أن يأتى على النفوس، و يمرض الاصحاء، و ينهك المرضى، و يفسد الثمار، و يعفن البقول، و يعقب الوباء فى الابدان، و الآفه فى الغلات. ففى هذا بيان: ان هبوب الريح من تدبير الحكيم فى صلاح الخلق.

## الهواء و الاصوات

و انبثك عن الهواء بخله أخرى، فان الصوت أثر يؤثره اصطكاك الاجسام فى الهواء، و الهواء يؤديه الى المسامع و الناس يتكلمون فى حوائجهم و معاملاتهم طول نهارهم و بعض ليلهم، فلو كان اثر هذا الكلام يبقى فى الهواء، كما [ صفحه ١١٩ ] يبقى الكتاب فى القرطاس، لامتأ العالم منه، فكان يكرهم و يفدحهم، و كانوا يحتاجون فى تجديده و الاستبدال به، الى أكثر مما يحتاج اليه فى تجديد القرطاس، لأن ما يلفظ من الكلام اكثر مما يكتب، فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجاتهم، ثم يحمى فيعود جديدا نقيا، و يحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع، و حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبره، و ما فيه من المصالح، فانه حياه هذه الأبدان، و الممسك لها من داخل، بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدى البعد البعيد... و هو الحامل لهذه الأرواح ينقلها من موضع الى موضع... ألا- ترى كيف تأتيك الرائحه من حيث تهب الريح، فكذلك الصوت، و هو القابل لهذا الحر و البرد، اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، و منه هذه الريح فالريح تروح عن الاجسام و ترجى السحاب من موضع الى موضع، ليعم نفعه، حتى يستكثف فيمطر، و تفضه حتى

يستخف فيتنفسى و تلقح الشجر، و تسير السفن، و ترخى الاطعمه، و تبرد الماء، و تشب النار، و تجفف الأشياء النديه، و بالجمله انها تحيى كل ما فى [ صفحه ١٢٠ ] الأرض... فلولا الريح لذوى النبات، و لمات الحيوان، و حمت الأشياء و فسدت.

## هيئه الأرض

فكر يا مفضل فيما خلق الله عزوجل عليه هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج اليه منها... فمن ذلك سعه هذه الأرض و امتدادها، فلولا- ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس و مزارعهم و مراعيهم و منابت اخشابهم و أحطابهم و العقاقير العظيمة و المعادن الجسيم غناؤها. و لعل من ينكر هذه الفلوات الخاويه و القفار الموحشه. فيقول: ما المنفعه فيها؟ فهى مأوى هذه الوحوش و محالها و مراعيها، ثم فيها بعد تنفس، و مضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال بأوطانهم، فكم بيداء و كم فدغد حالت قصورا و جنانا، بانتقال الناس اليها و حلولهم فيها، و لولا سعه الأرض و فسحتها لكان الناس كمن هو فى حصار ضيق لا يجد مندوحه عن وطنه اذا أحزنه أمر يضطره الى الانتقال عنه. [ صفحه ١٢١ ] ثم فكر فى خلق هذه الأرض على ما هى عليه حين خلقت راتبه راكمه، فتكون موطننا مستقرا للأشياء، فيتمكن الناس من السعى عليها فى مآربهم، و الجلوس عليها لراحتهم، و النوم لهدوئهم، و الاتقان لأعمالهم فانها لو كانت رجراجه منكفته، لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء و النجاره و الصناعه و ما أشبه ذلك، بل كانوا لا يتهنون بالعيش و الأرض ترتج من تحتهم، و اعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل - على قله مكثها - حتى يصبروا الى ترك منازلهم، و الهرب عنها... فان قال قائل:

فلم صارت هذه الأرض تزلزل؟ قيل له: ان الزلزله و ما أشبهها موعظه و ترهيب يرهب لها الناس ليرعوا، و ينتزعوا عن المعاصي، و كذلك ما ينزل بهم من البلاء في ابدانهم و أموالهم، يجرى في التدبير على ما فيه صلاحهم و استقامتهم، و يدخر لهم ان صلحوا من الثواب و العوض في الآخرة ما لا يعد له شىء من أمور الدنيا، و ربما عجل ذلك في الدنيا اذا كان ذلك في الدنيا صلاحا للعامه و الخاصه... ثم ان الأرض في طباعها الذى طبعاها الله عليه بارده يابسه، و كذلك الحجاره، و انما الفرق بينها و بين الحجاره فضل ييس في الحجاره، أفرايت [ صفحه ١٢٢ ] لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلا، حتى تكون حجرا صلدا، أكانت تنبت هذا النبات الذى به حياه الحيوان، و كان يمكن بها حرث أو بناء؟؟ أفلا ترى كيف نقصت من ييس الحجاره و جعلت على ما هى عليه من اللين و الرخاوه لتتهدأ للاعتماد.

### فوائد الماء و السبب فى كثرته

و من تدبير الحكيم جل و علا فى خلقه الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عزوجل كذلك الا لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها و ترويهها، ثم تفيض آخر ذلك الى البحر، فكما يرفع أحد جانبي السطح، و يخفض الآخر لينحدر الماء عنه و لا- يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب لهذه العله بعينها، و لولا ذلك لبقى الماء متحيرا على وجه الأرض، فكان يمنع الناس من اعمالها، و يقطع الطرق و المسالك، ثم الماء لولا كثرته، و تدفقه فى العيون و الأودية و الأنهار، لضاق عما يحتاج اليه الناس، لشربهم و شرب أنعامهم

[ صفحه ۱۲۳ ] و مواشيهم، و سقى زروعهم و أشجارهم و أصناف غلاتهم، و شرب ما يرده من الوحوش و الطير و السباع، و تتقلب فيه الحيتان و دواب الماء، و فيه منافع أخر أنت بها عارف و عن عظيم موقعها غافل فانه سوى الأمر الجليل المعروف من عظيم غنائه فى احياء جميع ما على الأرض من الحيوان و النبات يمزج الأشربه فتلذ و تطيب لشاربها، و به تنظف الأبدان و الأمتعه من الدرن الذى يغشاها، و به يبيل التراب فيصلح للأعمال و به يكف عاديه النار اذا اضطرمت، و أشرف الناس على المكروه، و به يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من أوصابه، الى أشباه هذا من المآرب التى تعرف عظم موقعها فى وقت الحاجه اليها، فان شككت فى منفعه هذا الماء الكثير المتراكم فى البحار، و قلت: ما الأرب فيه؟ فعلم أنه مكتنف و مضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك و دواب البحر و معدن اللؤلؤ و الياقوت و العنبر و أصناف شتى تستخرج من البحر، و فى سواحله منابت العود اليلنجوج و ضرور من الطيب و العقاقير، ثم هو بعد مركب للناس، و محمل لهذه التجارات التى تجلب من البلدان البعيده، كمثلى ما يجلب من الصين الى العراق، [ صفحه ۱۲۴ ] و من العراق الى الصين فان هذه التجارات، لو لم يكن لها محمل الا على الظهر لبارت و بقيت فى بلدانها و ايدى اهلها. لأن اجر حملها يجاوز أثمانها، فلا يتعرض احد لحملها و كان يجتمع فى ذلك أمران: أحدهما فقد أشياء كثيره تعظم الحاجه اليها و الآخر انقطاع معاش من يحملها و يتعيش بفضلها.

### فوائد الهواء و السبب فى كثرته

و هكذا الهواء لولا كثرته

و سعته لاختنق هذا الانام من الدخان و البخار الذى يتحير فيه، و يعجز عما يحول الى السحاب و الضباب أولا أولا، فقد تقدم من صفته ما فيه كفايه.

### منافع النار و جعلها كالمخزونه فى الاجسام

و النار أيضا كذلك، فانها لو كانت مبنوثة كالنسيم و الماء كانت تحرق العالم و ما فيه، و لما لم يكن بد من [ صفحه ١٢٥ ] ظهورها فى الاحيين، لغنائها فى كثير من المصالح، جعلت كالمخزونه فى الاجسام، فتلتبس عند الحاجه اليها، و تمسك بالماده و الحطب ما احتيج الى بقائها لئلا- تخبو فلا- هى تمسك بالماده و الحطب، فتعظم المؤونه فى ذلك، و لا- هى تظهر مبنوثة، فتحرق كل ما هى فيه، بل هى على تهيئه و تقدير، اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها و السلامه من ضررها. ثم فيها خله اخرى و هى مما خص بها الانسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحه، فانه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر فى معاشه، فاما البهائم فلا تستعمل النار، و لا تستمتع بها، و لما قدر الله عزوجل أن يكون هذا هكذا، خلق للانسان كفا و أصابع مهيئه لقدر النار و استعمالها، و لم يعط البهائم مثل ذلك، لكنها أعينت بالصبر على الجفاء و الخلل فى المعاش لكيلا ينالها فى فقد النار ما ينال الانسان عند فقدها. و أنبئك من منافع النار على خلقه صغيره عظيم موقعها، و هى هذا المصباح الذى يتخذه الناس، فيقضون به حوائجهم ما شأوا فى ليلهم و لولا- هذه الخله لكان الناس [ صفحه ١٢٦ ] تصرف اعمارهم بمنزله من فى القبور، فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ، أو ينسج فى ظلمه الليل، و كيف كان حال

من عرض له وجع فى وقت من أوقات الليل، فاحتاج الى أن يعالج ضمادا أو سفوفا أو شيئا يستشفى به... فاما منافعها فى نضح الأطحمه و دفاء الأبدان و تجفيف اشياء و تحليل اشياء و أشباه ذلك، فأكثر من أن تحصى و أظهر من أن تخفى.

### الصحو و المطر و تعاقبهما على العالم و فوائد ذلك

فكر يا مفضل فى الصحو و المطر كيف يتعاقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه، لو دام واحد منهما عليه كان فى ذلك فساد... ألا ترى أن الامطار اذا تواتت عفنت البقول و الخضر، و استرخت ابدان الحيوان و حصر الهواء فأحدث ضروبا من الأمراض. و فسدت الطرق و المسالك و أن الصحو اذا دام جفت الأرض، و احترق النبات، و غيض ماء العيون و الأوديه، فأضر ذلك بالناس، و غلب اليبس على الهواء فأحدث ضروبا اخرى من الأمراض... فاذا تعاقبا [ صفحه ١٢٧ ] على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء و دفع كل واحد منهما عاديه الآخر، فصلحت الأشياء و استقامت.. فان قال قائل: و لم لا يكون فى شىء من ذلك مضره البتة؟ قيل له: ليمض ذلك الانسان و يؤلمه بعض الألم، فيرعوى عن المعاصى، فكما أن الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الأدويه المره البشعه ليقوم طباعه، و يصلح ما فسد منه، كذلك اذا طغى و اشتد، احتاج الى ما يمضه و يؤلمه، ليرعوى و يقصر عن مساويه، و يثبت على ما فيه حظه و رشد... لو أن ملكا من الملوك قسم فى أهل مملكته قناطيرا من ذهب و فضه، ألم يكن سيعظم عندهم و يذهب له به الصوت، فأين هذا من مطره رواء يعم به البلاد، و يزيد فى الغلات أكثر من قناطير الذهب و

الفضه فى أقاليم الأرض كلها.. أفلا ترى المطره الواحده ما اكبر قدرها، و اعظم النعمه على الناس فيها و هم عنها ساهون، و ربما عاقت عن احدهم حاجه لا قدر لها، فيتذمر و يسخط ايثارا للخسيس قدره على العظيم نفعه، جميلا محمودا لعاقبته و قله معرفته لعظيم الغناء و المنفعه فيها. [ صفحه ١٢٨ ]

### مصالح نزول المطر على الأرض و أثر التدبير فيه

تأمل نزوله على الأرض و التدبير فى ذلك، فانه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ و ارتفع منها فيرويه، و لو كان انما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفه منها، و يقل ما يزرع فى الأرض.. ألا ترى ان الذى يزرع سبيحا [٥] أقل من ذلك، فالأمطار هى التى تطبق الأرض، و ربما تزرع هذه البرارى الواسعه و سفوح الجبال و ذراها فتغل الغله الكثيره. و بها يسقط عن الناس فى كثير من البلدان مؤنه سياق الماء من موضع الى موضع، و ما يجرى فى ذلك بينهم من التشاجر و التظالم حتى يستأثر بالماء ذو العز و القوه، و يحرمه الضعفاء، ثم أنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش، ليغور فى قعر الأرض فيرويه، و لو كان يسكبه انسكابا كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها، ثم كان يحطم الزروع القائمه اذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولا رقيقا، فينبت الحب المزروع. و يحيى الأرض و الزرع القائم. [ صفحه ١٢٩ ] و فى نزوله أيضا مصالح أخرى، فانه يلين الابدان و يجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، و يغسل ما يسقط على الشجر و الزرع من الدماء المسمى باليرقان الى أشباه هذا من المنافع، فان قال قائل: أو

ليس قد يكون منه فى بعض السنين الضرر العظيم الكثير، لشده ما يقع منه، أو برد يكون فيه تحطم الغلات، و بخوره يحدثها فى الهواء، فيولد كثيرا من الأمراض فى الابدان و الآفات فى الغلات؟ قيل: بلى قد يكون ذلك الفرط، لما فيه من صلاح الانسان، و كفه عن ركوب العاصى و التمادى فيها: فيكون المنفعه فيما يصلح له من دينه، أرجح مما عسى أن يرزأ فى ماله!.

## منافع الجبال

انظر يا مفضل الى هذه الجبال المركومه من الطين و الحجاره، التى يحسبها الغافلون: فضلا لا حاجه اليها. و المنافع فيها كثيره، فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج، فتبقى فى قلالها لمن يحتاج اليه، و يذوب ما ذاب منه، فتجرى منه العيون الغزيره التى تجتمع منها الأنهار العظام، [ صفحه ١٣٠ ] و ينبت فيها ضروب من النبات و العقاقير التى لا ينبت مثلها فى السهل، و يكون فيها كهوف و معاقل للوحوش من السباع العاديه و يتخذ منها الحصون و القلاع المنيعه للتحرز من الأعداء و ينحت منها الحجاره للبناء و الأرحاء [٦] و يوجد فيها معادن لضرب من الجواهر، و ما فيها خلال آخر لا يعرفها الا المقدر لها فى سابق علمه.

## انواع المعادن و استفاده الانسان منها

فكر يا مفضل: فى هذه المعادن و ما يخرج منها من الجواهر المختلفه مثل الجص و الكلس و الجبس و الزرنيخ و المرتك و التوتيا و الزئبق و النحاس و الرصاص و الفضة و الذهب و الزبرجد و الياقوت و الزمرد و ضروب الحجاره، و كذلك ما يخرج منها من القار و الموميا و الكبريت و النفط و غير ذلك مما يستعمله الناس فى مآربهم فهل يخفى على ذى عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان فى هذه الأرض، ليستخرجها فيستعملها عند الحاجه اليها، ثم [ صفحه ١٣١ ] قصرت حيله الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم و اجتهادهم فى ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من صنعتها على حرصهم و اجتهادهم فى ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محاله سيظهر، و يستفيض فى العالم، حتى تكثر الفضة و الذهب، و يسقطا عند الناس. فلا تكون

لهما قيمته. و يبطل الانتفاع بهما فى الشراء و البيع و المعاملات، و لا كان يجبى السلطان الأموال و لا يدخرهما أحد للأعقاب، و قد أعطى الناس - مع هذا - صنعه الشبه من النحاس، و الزجاج من الرمل. و الفضه من الرصاص، و الذهب من الفضه، و أشباه ذلك مما لا مضره فيه. فانظر كيف اعطوا ارادتهم فى ما لا ضرر فيه، و منعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه، و من أوغل فى المعادن انتهى الى واد عظيم يجرى منصلتا بماء غزير، لا يدرك غوره، و لا حيله فى عبوره، و من ورائه أمثال الجبال من الفضه. تفكر الآن فى هذا، من تدبير الخالق الحكيم، فانه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد قدرته، وسعه خزائنه، ليعلموا [صفحه ١٣٢] أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضه لفعل، لكن لا صلاح لهم فى ذلك، لأنه لو كان فىكون فيها - كما ذكرنا - سقوط هذا الجوهر عند الناس، و قله انتفاعهم به. و اعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشىء الظريف مما يحدثه الناس من الأوانى و الأمتعه، فما دام عزيزا قليلا، فهو نفيس جليل آخذ الثمن، فاذا فشا و كثر فى ايدى الناس، سقط عندهم و خست قيمته... و نفاسه الأشياء من عزتها.

### النبات و ما فيه من ضروب المآرب

فكر يا مفضل فى هذا النبات و ما فيه من ضروب المآرب، فالثمار للغذاء، و الاتبان للعلف، و الحطب للوقود، و الخشب لكل شىء من انواع التجاره و غيرها، و اللحاء و الورق و الأصول و العروق و الصموغ لضرور من المنافع. رأيت لو كنا نجد الثمار التى نغتنى بها مجموعها على وجه الأرض، و لم تكن تنبت

على هذه الأغصان الحامله لها، كم كان يدخل علينا من الخلل فى معاشنا، وان كان الغذاء موجودا فان المنافع بالخشب و الحطب [ صفحه ١٣٣ ] و الأتبان و سائر ما عددناه كثيره عظيم قدرها، جليل موقعها، هذا مع ما فى النبات من التلذذ بحسن منظره، و نضارته التى لا يعدلها شىء من مناظر العالم و ملاهيه.

### الربيع فى النبات و سببه

فكر يا مفضل فى هذا الربيع الذى جعل فى الزرع، فصارت الحبه الواحده تخلف مائه حبه و اكثر و أقل، و كان يجوز للحبه أن تأتى بمثلها فلم صارت تريع هذا ليكون فى الغله متسع، لما يرد فى الأرض من البذر، و ما يتقوت الزراع الى ادراك زرعها المستقبل، ألا- ترى أن الملك لو أراد عماره بلد من البلدان كان السبيل فى ذلك أن يعطى أهله ما يبذرونه فى أرضهم و ما يقوتهم الى ادراك زرعهم. فانظر كيف تجد هذا المثل قد تقدم فى تدبير الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الربيع لىفى بما يحتاج اليه للقوت و الزراعه، و كذلك الشجر و النبات و النخل يريع الربيع الكثير، فانك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمرا عظيما، فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس، [ صفحه ١٣٤ ] و يستعملونه فى مآربهم، و ما برد فيغرس فى الأرض، و لو كان الأصل منه يبقى منفردا لا يفرخ و لا يريع لما امكن أن يقطع منه شىء ل عمل و لا لغرس، ثم كان ان اصابته آفه انقطع أصله، فلم يكن منه خلف.

### بعض النباتات و كيف تصان

تأمل نبات هذه الحبوب من العدس و الماش و الباقلاء و ما أشبه ذلك فانها تخرج فى أوعيه مثل الخرائط لتصونها و تحجبها من الآفات الى أن تشتد و تستحكم، كما قد تكون المشيمه على الجنين لهذا المعنى بعينه و أما البر و ما أشبهه فانه يخرج مدرجا فى قشور صلاب على رؤوسها أمثال الأسنه من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع فان قال قائل: أو ليس قد ينال الطير من البر و الحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدر الأمر

فيها، لأن الطير خلق من خلق الله تعالى و قد جعل الله تبارك و تعالى له في ما تخرج الأرض حضا ولكن حصنت الحبوب بهذه الحجب لئلا- يتمكن الطير منها كل التمكّن فيعذب بها و يفسد الفساد الفاحش. فان الطير لو [ صفحه ١٣٥ ] صادف الحب بارزا ليس عليه شىء يحول دونه لأ-كب عليه حتى ينسفه أصلا، فكان يعرض من ذلك أن ييشم الطير فيموت، و يخرج الزراع من زرعه صفرا، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه، فينال الطائر منه شيئا يسيرا يتقوت به، و يبقى أكثره للانسان، فانه أولى به، اذ كان هو الذى كدح فيه و شقى به، و كان الذى يحتاج اليه أكثر مما يحتاج اليه الطير.

## الحكمة فى خلق الشجر و أصناف النبات

تأمل الحكمة فى خلق الشجر و أصناف النبات، فانها لما كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجه الحيوان، و لم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان و لا حركه تنبعث بها لتناول الغذاء، جعلت اصولها مركزه فى الأرض لتتزع منه الغذاء فتؤديه الى الأغصان و ما عليها من الورق و الثمر فصارت الأرض كالأم المربيه لها، و صارت أصولها التى هى كالأفواه ملتقمه للأرض لتتزع منها الغذاء، كما ترضع أصناف الحيوان امهاتها، ألم ترى الى عمد الفساطيط [ صفحه ١٣٦ ] و الخيم كيف تمد بالأطناب من كل جانب لتثبت منتصبه فلا تسقط و لا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشره فى الأرض و الدوح العظام فى الريح العاصف؟. فانظر الى حكمه الخالق كيف سبقت حكمه الصناعه فصارت الحيله التى تستعملها الصناع فى ثبات الفساطيط و الخيم، متقدمه فى خلق الشجر، لأن خلق الشجر قبل صنعه الفساطيط و الخيم... ألا ترى عمدها و عيدانها من الشجر، فالصناعه

مأخوذه من الخلقه.

## خلق الورق و وصفه

تأمل يا مفضل خلق الورق فانك ترى فى الورقه شبه العروق مبعوثه فيها أجمع، فمنها غلاظ ممتده فى طولها و عرضها، و منها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجه نسجا دقيقا معجما، لو كان مما يصنع بالأيدى كصنعه البشر لما فرغ من ورق شجره واحده فى عام كامل، و لا- احتيج الى آلات و حركه و علاج و كلام، فصار يأتى منه فى أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال و السهل و بقاع الأرض كلها بلا [ صفحہ ۱۳۷ ] حركه و لا كلام، الا بالاراده النافذه فى كل شىء و الأمر المطاع... و اعرف مع ذلك العله فى تلك العروق الدقاق، فانها جعلت تتخلل الورقه بأسرها، لتسقيها و توصل الماء اليها، بمنزله العروق المبعوثه فى البدن، لتوصل الغذاء الى كل جزء منه، و فى الغلاظ منها معنى آخر، فانها تمسك الورقه بصلابتها و متانتها، لئلا تنهتك و تتمزق، فترى الورقه شبيهه بورقه معموله بالصنعه من خرق قد جعلت عيدان ممدوده فى طولها و عرضها لتتماسك فلا تضطرب.. فالصناعه تحكى الخلقه و ان كانت لا تدرکها على الحقيقه.

## العجم و النوى و العله فى خلقه

فكر فى هذا العجم و النوى و العله فيه، فانه جعل فى جوف الثمره ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشىء النفيس الذى تعظم الحاجه اليه فى مواضع آخر، فان حدث على الذى فى بعض المواضع منه حادث وجد فى موضع آخر، ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوه الثمار و رقتها، و لولا ذلك لتشدخت و تفسخت، و أسرع [ صفحہ ۱۳۸ ] اليها الفساد و بعضه يؤكل و يستخرج دهنه، فيستعمل منه ضروب من المصالح، و قد تبين لك موضع الأرب فى العجم

و النوى. فكر الآن فى هذا الذى تجده فوق النواه من الرطبه، و فوق العجم من العنبه، فما العله فيه؟ و لماذا يخرج فى هذه الهيئه؟ و قد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكى كمثى ما يكون فى السدر و الدلب و ما أشبه ذلك. فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذه، الا ليستمتع بها الانسان؟

### موت الشجر و تجدد حياته و ما فى ذلك من ضروب التدبير

فكر فى ضروب من التدبير فى الشجر، فانك تراه يموت فى كل سنه موته، فتحتبس الحراره الغريزيه فى عوده، و يتولد فيه مواد الثمار ثم يحيى و ينتشر، فىأتىك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع، كما تقدم اليك أنواع الأطبخه التى تعالج بالأيدى واحدا بعد واحد، فترى الأغصان فى الشجر [صفحه ١٣٩] تتلعاك بشمارها حتى كأنها تناولكها عن يد، و ترى الرياحين تتلعاك فى أفنائها كأنها تجئك بأنفسها، فلمن هذا التقدير الا لمقدر حكيم و ما العله فيه الا تفكيه الانسان بهذه الثمار و الأنوار؟... و العجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمه جحود المنعم بها.

### خلق الرمانه و أثر العمد فيه

و اعتبر بخلق الرمانه و ما ترى فيها من اثر العمد و التدبير، فانك ترى فيها كأمثال التلال، من شحم مركوم فى نواحيها، و حب مرصوف صفا كنجو ما ينضد بالأيدى، و ترى الحب مقسوما أقساما، و كل قسم منها ملفوفا بلفائف من حجب منسوجه اعجب النسج و الطفه و قشره يضم ذلك كله. فمن التدبير فى هذه الصنعه أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانه من الحب وحده، و ذلك أن الحب لا يمد بعضه بعضا، فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمنه بالغذاء. ألا ترى أن أصول الحب مركوزه فى ذلك الشحم، ثم لف بتلك اللفائف لتضمه و تمسكه فلا يضطرب، و غشى [صفحه ١٤٠] فوق ذلك بالقشره المستحصفه لتصونه و تحصنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمانه، و فيه أكثر من هذا لمن أراد الاطناب و التدرع فى الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفايه فى الدلاله و الاعتبار.

### حمل اليقطين و ما فيه من التدبير و الحكمه

فكر يا مفضل فى حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيله من الدباء و القثاء و البطيخ و ما فى ذلك من التدبير و الحكمه، فانه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الأرض، و لو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع و الشجر، لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطا على الأرض، و لو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع و الشجر، لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيله، و لتقصف قبل ادراكها و انتهائها الى غاياتها.. فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقى عليها ثماره فتحملها عنه فترى الأصل من القرع و البطيخ مفترشا للأرض، و ثماره مبثوثة عليها

و حوالیه كأنه هره ممتده، و قد [ صفحه ۱۴۱ ] اکتفتها جراثها لترضع منها.

## موافاه أصناف النبات فى الوقت المشاكل لها

و انظر كيف صارت الأصناف توافى فى الوقت المشاكل لها، من حماره الصيف و وقده الحر فتلقاها النفوس بانشرح و تشوق اليها، و لو كانت توافى الشتاء لوافقت من الناس كراهه لها و اقشعرارا منها مع ما يكون فيها من المضره للأبدان. ألا ترى أنه ربما ادرك شىء من الخيار فى الشتاء، فيمتنع الناس من أكله الا الشره الذى لا يمتنع من أكل ما يضره و يسقم معدته.

## فى النخل و خلقه الجذع و الخشب و فوائد ذلك

فكر يا مفضل فى النخل، فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح جعلت فيه ذكوره اللقاح من غير غراس، فصار الذكر من النخل بمنزله الذكر من الحيوان الذى يلحق الاناث لتحمل و هو لا- يحمل. تأمل خلقه الجذع كيف هو؟ [ صفحه ۱۴۲ ] فانك تراه كالمنسوج نسجا من خيوط ممدوه كالسدى و أخرى معه معترضه كاللحمه كنحو ما ينسج بالأيدى، و ذلك ليشدد و يصلب و لا يتقصف من حمل القنوات الثقيله و هز الرياح العواصف اذا صار نخله و ليتهيأ للسقوف و الجسور و غير ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعا. و كذلك ترى الخشب مثل النسج فانك ترى بعضه مداخلا بعضه بعضا طولا و عرضا كتداخل اجزاء اللحم، و فيه مع ذلك متانه ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فانه لو كان مستحصفا كالحجاره لم يكن أن يستعمل فى السقوف و غير ذلك مما يستعمل فيه الخشبه كالأبواب و الأسره و التوابيت و ما أشبه ذلك... و من جسيم المصالح فى الخشب أنه يطفو على الماء، فكل الناس يعرف هذا منه، و ليس كلهم يعرف جلاله الأمر فيه، فلولا هذه الخله كيف كانت هذه السفن و الأطراف تحمل أمثال الجبال من الحموله، و

أنى كان ينال الناس هذا الرفق و خفه المؤنه فى حمل التجارات من بلد الى بلد، و كانت تعظم المؤنه عليهم فى حملهم حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه فى بعض البلدان مفقودا أصلا أو عسر وجوده. [ صفحه ١٤٣ ]

## العقاير و اختصاص كل منها

فكر فى هذه العقاقير و ما خص بها كل واحد منها من العمل فى بعض الأدواء، هذا يغور فى المفاصل فيستخرج الفضول الغليظه مثل الشيطرج، و هذا ينزف المره السوداء مثل الافتيمون، و هذا ينفى الرياح مثل السكينج، و هذا يحلل الأورام، و أشباه هذا من افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعه؟ و من فطن الناس لها الا من جعل هذا فيها؟. و متى كان يوقف على هذا منها بالعرض و الاتفاق كما قال القائلون؟ و هب الانسان فطن لهذه الأشياء بذهنه و لطيف رويته و تجاربه، فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه ان اصابته ببعض العقاقير فيبرأ، و بعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، و اشباه هذا كثير، و لعلك تشكك فى هذا النبات النبات فى الصحارى و البرارى حيث لا أنس و لا انيس، فتظن أنه فضل لا حاجه اليه، و ليس كذلك، بل هو طعم لهذه الوحوش، و حبه علف للطير، و عوده و أفنانه حطب، فيستعمله الناس، و فيه بعد اشياء تعالج بها الابدان، [ صفحه ١٤٤ ] و اخرى تدبغ بها الجلود، و اخرى تصبغ الامتعه، و أشباه هذا من المصالح.. أأست تعلم أن من اخس النبات و احقره هذا البردى و ما أشبهها، ففيها مع هذا من ضروب المنافع، فقد يتخذ من البردى القراطيس التى يحتاج اليها الملوك

و السوقه، و الحصر التي يستعملها كل صنف من الناس، و يعمل منه الغلف التي يوقى بها الاواني، و يجعل حشوا بين الظروف و فى الاسفاط، لكيلا تعيب و تنكسر، و أشباه هذا من المنافع. فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب فى صغير الخلق و كبيره و بما له قيمه و ما لا قيمه له، و أخس من هذا و أحقره الزبل، و العذره التي اجتمعت فيها الخساسة و النجاسه معا، و موقعها من الزروع و البقول و الخضر اجمع الموقع الذى لا يعدله شىء، حتى أن كل شىء من الخضر لا يصلح و لا يزكو الا بالزبل و السماد الذى يستقذره الناس، و يكرهون الدنو منه. و اعلم أنه ليس منزله الشىء على حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، و ربما كان الخسيس فى سوق المكتسب نفيسا فى سوق العلم، فلا تستصغر العبره فى [ صفحہ ۱۴۵ ] الشىء لصغر قيمته، فلو فطن طالبو الكيمياء لما فى العذره، لاشتروها بأنفس الأثمان و غالوا بها. قال المفضل: و حان وقت الزوال، فقام مولاي الى الصلاه و قال بكر الى غدا ان شاء الله تعالى. فانصرفت و قد تضاعف سرورى بما عرفنيه، مبتهجا بما آتانيه، حامدا لله على ما منحنيه. فبت ليلتى مسرورا. [ صفحہ ۱۴۷ ]

## المجلس ٠٤

### اشاره

قال المفضل: فلما كان اليوم الرابع بكرت الى مولاي فاستؤذن لى، فأمرنى بالجلوس فجلست، فقال عليه السلام: منا التحميد و التسييح و التعظيم و التقديس، للاسم الاقدم، و النور الأعظم، العلى العلام، ذى الجلال و الاكرام، و منشىء الأنام، و مفنئ العوالم و الدهور، و صاحب السر المستور، و الغيب المحظور، و الاسم المخزون، و العلم المكنون، و صلواته و

بركاته على مبلغ وحيه، و مؤدى رسالته، الذى بعثه بشيرا و نذيرا و داعيا الى الله باذنه، و سراجا منيرا، ليهلك من هلك عن بينه، و يحيى من حى عن بينه، فعليه و على آله من بارئه الصلوات الطيبات، و التحيات الزاقيات الناميات، و عليه و عليهم السلام و الرحمه و البركات فى الماضين و الغابرين، أبد الأبدين، [ صفحہ ۱۴۸ ] و دهر الداهرين، و هم أهله و مستحقوه.

## الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلك

قد شرحت لك يا مفضل من الأدله على الخلق، و الشواهد على صواب التدبير و العمد فى الانسان و الحيوان و النبات و الشجر و غير ذلك. ما فيه عبره لمن اعتبر، و أنا أشرح لك الآن الآفات الحادثه فى بعض الأزمان التى اتخذها أناس من الجهال ذريعه الى جحود الخلق و الخالق و العمد و التدبير، و ما انكرت المعطله و المنانيه من المكاره و المصائب، و ما أنكروه من الموت و الفناء، و ما قاله أصحاب الطبائع، و من زعم أن كون الاشياء بالعرض و الاتفاق، ليتسع ذلك القول فى الرد عليهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

## الآفات و نظر الجهال اليها و الجواب على ذلك

اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثه فى بعض [ صفحہ ۱۴۹ ] الأزمان - كمثل الوباء و اليرقان و البرد و الجراد - ذريعه الى جحود الخالق و التدبير و الخلق، فيقال فى جواب ذلك: أنه ان لم يكن خالق و مدبر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا و أظفح؟ فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض، و تهوى الأرض فتذهب سفلا، و تتخلف الشمس عن الطلوع اصلا، و تجف الأنهار و العيون حتى لا يوجد ماء للشفه، و تركد الريح، حتى تخم الأشياء و تفسد، و يفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها، ثم هذه الآفات التى ذكرناها من الوباء و الجراد و ما اشبه ذلك ما بالها لا تدوم و تمتد، حتى تجتاح كل ما فى العالم، بل تحدث فى الأحايين، ثم لا تلبث أن ترفع. أفلا ترى أن العالم يصاب و يحفظ من تلك الأحداث الجليله التى لو حدث عليه شىء منها كان فيه بواره و يلذع احيانا بهذه الآفات اليسيره، لتأديب الناس

و تقويمهم، ثم لا تدوم هذه الآفات، بل تكشف، عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظه و كشفها عنهم رحمه. و قد أنكرت المنانيه من المكاره و المصائب التي تصيب الناس فكلاهما يقول: ان كان للعالم خالق رؤوف رحيم، فلم تحدث فيه هذه الأمور المكروهه... و القائل [ صفحه ١٥٠ ] بهذا القول يذهب الى أنه ينبغي أن يكون عيش الانسان في هذه الدنيا صافيا من كل كدر، و لو كان هكذا كان الانسان يخرج من الأشر و العتو الى ما لا يصلح في دين و لا دنيا، كالذي ترى كثيرا من المترفين و من نشأ في الجده و الامن، يخرجون اليه حتى أن أحدهم ينسى أنه بشر، و أنه مريب، أو أن ضررا يمسه، أو أن مكروها ينزل به، أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفا، أو يواسى فقيرا، أو يرثى المبتلى، أو يتحنن على ضعيف، أو يتعطف على مكروب، فاذا عضته المكاره و وجد مضعها، اتعظ و ابصر كثيرا مما كان جهله و غفل عنه، و رجع الى كثير مما كان يجب عليه. و المنكرون لهذه الأمور المؤدبه بمنزله الصبيان الذين يذمون الأدوية المره البشعه، و يتسخطون من المنع من الأظعمه الضاره، و يتكروهون الأدب و العمل، و يحبون أن يتفرغوا للهو و البطاله، و ينالوا كل مطعم و مشرب، و لا يعرفون ما تؤديهم اليه البطاله من سوء النشو و العاده، و ما تعقبهم الأظعمه اللذيذه الضاره من الأدوية و الاسقام، و ما لهم في الأدب من الصلاح، و في الأدوية من المنفعه، و ان شاب ذلك بعض الكراهه، فان قالوا: فلم لم يكن الانسان [ صفحه ١٥١ ] معصوما من المساوي، حتى

لا يحتاج الى أن تلذعه هذه المكاره، قيل: اذا يكون غير محمود على حسنه يأتيها، و لا مستحقا للثواب عليها. فان قالوا: و ما كان يضره أن لا يكون محمودا على الحسنات مستحقا للثواب، بعد أن يصير الى غايه النعيم و اللذات؟ قيل لهم: اعرضوا على امرىء صحيح الجسم و العقل، أن يجلس منعمًا، و يكفي كلما يحتاج اليه بلا سعى و لا استحقاق، فانظروا هل تقبل نفسه ذلك، بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعى و الحركة اشد اغتباطا و سرورا منه بالكثير مما يناله بغير سعى و لا استحقاق، و كذلك نعيم الآخره أيضا يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعى فيه و الاستحقاق له فالنعمه على الانسان فى هذا الباب مضاعفه، فان اعد له الثواب الجزيل على سعيه فى هذه الدنيا و جعل له السبيل الى أن ينال ذلك بسعى و استحقاق، فيكمل له السرور و الاغتباط بما يناله منه... فان قالوا: أوليس قد يكون من الناس من يركن الى ما نال من خير، و ان كان لا يستحقه، فما الحجه فى منع من رضى أن ينال نعيم الآخره على هذه الجملة؟ قيل لهم: أن هذا باب لو صح للناس لخرجوا الى غايه الكلب و الضراوه على [ صفحه ١٥٢ ] الفواحش، و انتهاك المحارم، فمن كان يكف نفسه عن فاحشه أو يتحمل المشقه فى باب من ابواب البر لوثق بأنه صائر الى النعيم لا محاله، أو من كان يأمن على نفسه و أهله و ماله من الناس لو لم يخاف الحساب و العقاب، فكان ضرر هذا الباب سينال الناس فى هذه الدنيا قبل الآخره. فيكون فى ذلك تعطيل العدل و الحكمه معا، و موضع للطعن

على التدبير بخلاف الصواب و وضع الأمور فى غير مواضعها.

## لماذا تصيب الآفات جميع الناس و ما الحججه فى ذلك

و قد يتعلق هؤلاء بالآفات التى تصيب الناس، فتعم البر و الفاجر أو يتلى بها البر و يسلم الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا فى تدبير الحكيم و ما الحججه فيه؟ فيقال لهم: ان هذه الآفات و ان كانت تنال الصالح و الطالح جميعا. فان الله عزوجل جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما، أما الصالحون فان الذى يصيبهم من هذا يزدهم نعم ربهم عندهم فى سالف أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر و الصبر، و أما الطالحون فأن مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم [صفحة ١٥٣] وردعهم عن المعاصى و الفواحش، و كذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا فى ذلك، أما الأبرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر و الصلاح و يزدادون فيه رغبه و بصيره و أما الفجار فانهم يعرفون رآفه ربهم، و تطوله عليهم بالسلامه من غير استحقاق. فيحضمهم ذلك على الرآفه بالناس، و الصفح عن أساء اليهم.. و لعل قائلا يقول: ان هذه الآفات التى تصيب الناس فى أموالهم، فما قولك فيما يتلون به فى أبدانهم، فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق و الغرق و السيل و الخسف؟ فيقال له: أن الله جعل فى هذا أيضا صلاحا للصنفين جميعا، أما الأبرار فلما لهم فى مفارقه هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها، و النجاه من مكارهها، و أما الفجار فلما لهم فى ذلك من تمحيص أوزارهم، و حبسهم عن الازدياد منها، و جملة القول أن الخالق تعالى ذكره بحكمته و قدرته قد يصرف هذه الأمور كلها الى الخير و المنفعه، فكما أنه اذا قطعت الريح شجره أو قطعت نخله، أخذها الصانع

الرفيق و استعملها فى ضرور من المنافع، فكذلك يفعل المدبر الحكيم فى الآفات التى تنزل بالناس فى أبدانهم و أموالهم، فىصيرها [ صفحہ ١٥٤ ] جميعا الى الخير و المنفعه.. فان قال: و لم تحدث على الناس؟ قيل له: لكيلا يركنوا الى المعاصى من طول السلامه، فيبالغ الفاجر فى ركوب المعاصى، و يفتر الصالح عن الاجتهاد فى البر فان هذين الأمرين جميعا يغلبان على الناس فى حال الخفض و الدعه و هذه الحوادث التى تحدث عليهم تردعهم و تنبههم على ما فيه رشدهم، فلو خلوا منها لغلوا فى الطغيان و المعصيه، كما غلا الناس فى أول الزمان. حتى وجب عليهم البوار بالطوفان و تطهير الأرض منهم.

## الموت و الفناء و انتقاد الجهال و جواب ذلك

و مما ينتقده الجاحدون للعمد و التقدير الموت و الفناء. فانهم يذهبون الى أنه ينبغى أن يكون الناس مخلدين فى هذه الدنيا. مبرئين من هذه الآفات، فينبغى أن يساق هذا الأمر الى غايته، فينظر ما محصوله. أفرأيت لو كان كل من دخل العالم و يدخله يبقون، و لا يموت أحد منهم، ألم تكن الأرض تضيق بهم، حتى تعوزهم المساكن و المزارع و المعاش، فانهم - و الموت [ صفحہ ١٥٥ ] يفنيهم أولا فأولا - يتنافسون فى المساكن و المزارع، حتى تنشب بينهم فى ذلك الحروب، و تسفك فيهم الدماء، فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون و لا يموتون، و كان يغلب عليهم الحرص و الشره، و قساوه القلوب، فلو وثقوا بأنهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشىء يناله، و لا افرج لأحد عن شىء يسأله، و لا سلا عن شىء مما يحدث عليه، ثم كانوا يملون الحياه و كل شىء من امور الدنيا كما قد يمل الحياه

من طال عمره، حتى يتمنى الموت و الراحة من الدنيا... فان قالوا: أنه كان ينبغي أنه يرفع عنهم المكاره و الأوصاب حتى لا يتمنوا الموت و لا يشتاخوا اليه. فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو و الأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا و الدين. و ان قالوا: انه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن و المعاش. قيل لهم: اذا كان يحرم اكثر هذا الخلق دخول العالم و الاستمتاع بنعم الله تعالى و مواهبه فى الدارين جميعا اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد، لا يتوالدون و لا يتناسلون... فان قالوا: أنه كان ينبغي أن يخلق فى ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق و يخلق الى انقضاء العالم، يقال لهم: رجع الأمر الى [صفحة ١٥٦] ما ذكرنا من ضيق المساكن و المعاش عنهم، ثم لو كانوا لا يتوالدون و لا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرايات و ذوى الارحام و الانتصار بهم عند الشدائد، و موضع تربيته الاولاد و السرور بهم، ففى هذا دليل على أن كلما تذهب اليه الأوهام - سوى ما جرى به التدبير - خطأ و سفه من الرأى و القول.

### **الظعن على التدبير من جهه اخرى و الجواب عليه**

و لعل طاعنا يطعن على التدبير من جهه اخرى فيقول كيف يكون ها هنا تدبير، و نحن نرى الناس فى هذه الدنيا من عزيز، فالقوى يظلم و يغصب، و الضعيف يظلم و يسالم الخسف، و الصالح فقير مبتلى، و الفاسق معافى موسع عليه، و من ركب فاحشه أو انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبه. فلو كان فى العالم تدبير لجرت الأمور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق، و الطالح هو المحروم، و كان

القوى يمنع من ظلم الضعيف. و المنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبه.. فيقال فى جواب ذلك: أن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذى فضل به الانسان [صفحه ١٥٧] على غيره من الخلق، و حمل النفس على البر و العمل الصالح احتسابا للثواب، وثقه بما وعد الله عنه، و لصار الناس بمنزله الدواب التى تساس بالعصا و العلف، و يلمع لها بكل واحد منهما ساعه فساعه فتستقيم على ذلك، و لم يكن احد يعمل على يقين بثواب أو عقاب، حتى كان هذا يخرجهم عن حد الانسيه الى حد البهائم، ثم لا يعرف ما غاب، و لا يعمل الا على الحاضر من نعيم الدنيا، و كان يحدث من هذا أيضا أن يكون الصالح انما يعمل للرزق و السعه فى هذه الدنيا، و يكون الممتنع من الظلم و الفواحش انما يكف عن ذلك لترقب عقوبه تنزل به من ساعته، حتى يكون أفعال الناس كلها تجرى على الحاضر لا يشوبه شىء من اليقين بما عندالله، و لا يستحقون ثواب الآخره و النعيم الدائم فيها، مع أن هذه الأمور التى ذكرها الطاعن من الغنى و الفقر و العافيه و البلاء ليست بجاريه على خلاف قياسه، بل قد تجرى على ذلك احيانا و الأمر المفهوم. فقد ترى كثيرا من الصالحين، يرزقون المال لضروب من التدبير و كيلا يسبق الى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون، و الابرار هم المحرومون، فيؤثرون الفسق على [صفحه ١٥٨] الصلاح، و ترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبه اذا تفاقم طغيانهم و عظم ضررهم على الناس و على انفسهم كما عوجل فرعون بالغرق و بخت نصر [٧] بالتيه و بلييس بالقتل و ان أمهل بعض الاشرار بالعقوبه،

و آخر بعض الاخيار بالثواب الى الدار الآخرة، لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما يبطل التدبير، فان مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض و لا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخره، و تعجيلهم ما عجلوه داخلا فى صواب الرأى و التدبير و اذا كانت الشواهد تشهد، و قياسهم يوجب أن للاشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه أن يدبر خلقه، فانه لا يصلح فى قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعه الا باحدى ثلاث خلال: اما عجز و اما جهل و اما شراره، و كل هذا محال فى صنعه عزوجل، و تعالى ذكره، و ذلك أن العاجز لا يستطيع أن يأتي بهذه الخلائق الجليلة العجيبة، و الجاهل لا يهتدى لما فيها من الصواب و الحكمة و الشرير لا يتناول لخلقها و انشائها، و اذا كان هذا هكذا و جب أن يكون الخالق يدبرها لا محاله، و ان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير و مخارجه، فان [ صفحه ١٥٩ ] كثيرا من تدبير الملوك لا تفهمه العامه و لا تعرف أسبابه، لأنها لا تعرف دخيله أمر الملوك و أسرارهم فاذا عرف سببه وجد قائما على الصواب و الشاهد المحنه. و لو شككت فى بعض الأدويه و الأطعمه فيتبين لك من جهتين أو ثلاث أنه حار أو بارد، ألم تكن ستقضى عليه بذلك و تنفى الشك فيه عن نفسك؟ فما بال هؤلاء الجهله لا يقضون على العالم بالخلق و التدبير مع هذه الشواهد الكثيره و اكثر منها ما لا يحصى كثره و لو كان نصف العالم و ما فيه مشكلا صوابه، لما كان من حزم الرأى و سمت الأدب أن يقضى على العالم بالاهمال لأنه كان

فى النصف الآخر و ما يظهر فىه من الصواب، و اتقان ما يردع الوهم عن التسرع الى هذه القضية، فكيف و كلما فىه اذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شىء الا وجد ما عليه الخلقه أصح و أصوب منه.

### اسم هذا العالم بلسان اليونانيه

و اعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانيه الجارى المعروف عندهم «قوسموس» و تفسيره الزينه، [ صفحه ١٦٠ ] و كذلك سمته الفلاسفه و من ادعى الحكمه، أفكانوا يسمونه بهذا الاسم الا لما رأوا فيه من التقدير و النظام فلم يرضوا أن يسموه تقديرا و نظاما حتى سموه زينه، ليخبروا أنه مع ما هو عليه من الصواب و الاتقان، على غاية الحسن و البهاء.

### عمى (مانى) عن دلائل الحكمه و ادعاؤه علم الاسرار

اعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعه الطب بالخطأ، و هم يرون الطبيب يخطىء، و يقضون على العالم بالاهمال، و لا يرون شيئا منه مهملا، بل اعجب من أخلاق من ادعى الحكمه، حتى جهلوا مواضعها فى الخلق، فأرسلوا ألسنتهم بالدم للخالق جل و علا... بل العجب من المخذول (مانى) حين ادعى علم الاسرار و عمى عن دلائل الحكمه فى الخلق حتى نسبه الى الخطأ و نسب خالقه الى الجهل تبارك الحكيم الكريم. [ صفحه ١٦١ ]

### انتقاد المعطله فيما راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل

و أعجب منهم جميعا (المعطله) الذين راموا أن يدركوا بالحس ما لا يدرك بالعقل، فلما أعوزهم ذلك، خرجوا الى الجحود و التكذيب، فقالوا: و لم لا يدرك بالعقل؟ قيل: لأنه فوق مرتبه العقل، كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبه... فانك لو رأيت حجرا يرتفع فى الهواء علمت أن راميا رمى به، فليس هذا العلم من قبل البصر، بل من قبل العقل، لأن العقل هو الذى يميزه، فيعلم ان الحجر لا يذهب علوا من تلقاء نفسه... أفلا ترى كيف وقف البصر على حده، فلم يتجاوزه، فكذلك يقف العقل على حده من معرفه الخالق فلا يعدوه، ولكن يعقله بعقل اقر أن فيه نفسا و لم يعاينها، و لم يدركها بحاسه من الحواس.

### معرفه العقل للخالق معرفه اقرار لا معرفه احاطه

و على حسب هذا أيضا نقول: أن العقل يعرف الخالق [ صفحه ١٦٢ ] من جهه توجب عليه الاقرار، و لا يعرفه بما يوجب له الاحاطه بصفته.. فان قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف، و لا يحيط به؟ قيل لهم انما كلف لعباد من ذلك ما فى طاقتهم أن يبلغوه، و هو أن يوقنوا به ويقفوا عند أمره و نهيه، و لم يكلفوا الاحاطه بصفته، كما أن الملك لا يكلف رعيته أن يعلموا أطويل هو أم قصير، و أبيض هو أم أسمر، و انما يكلفهم الاذعان لسلطانه، و الانتهاء الى أمره. ألا ترى أن رجلا لو أتى باب الملك، فقال: أعرض على نفسك حتى اتقصى معرفتك، و الا لم أسمع لك كان قد أحل نفسه بالعقوبه.. فكذا القائل أنه لا يقر بالخالق سبحانه، حتى يحيط بكنهه متعرضا لسخطه.. فان قالوا: أوليس قد نصفه؟ فنقول: هو العزيز الحكيم الجواد الكريم؟ قيل لهم

كل هذه صفات اقرار، وليست صفات احاطه، فانا نعلم أنه حكيم، و لا نعلم بكنه ذلك منه، و كذلك قدير و جواد و سائر صفاته، كما قد نرى السماء فلا ندرى ما جوهرها، و نرى البحر و لا ندرى أين منتهاه، بل فوق هذا المثال بما لا نهائيه له، و لأن الأمثال كلها تقصر عنه، ولكنها تقود العقل الى معرفته... فان قالوا: و لم [ صفحه ١٦٣ ] يختلف فيه؟ قيل لهم: لقصر الأوهام عن مدى عظمته، و تعديها اقدارها فى طلب معرفته، و انها تروم الاحاطه به، و هى تعجز من ذلك و ما دونه.

## الشمس و اختلاف الفلاسفه فى وضعها و شكلها و مقدارها

فمن ذلك هذه الشمس التى تراها تطلع على العالم و لا- يوقف على حقيقه أمرها.. و لذلك كثرت الأقاويل فيها، و اختلفت الفلاسفه المذكورون فى وصفها، فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملوء ناراً، له فم يجيش بهذا الوهج و الشعاع.. و قال آخرون: هو سحابه... و قال آخرون: هو جسم زجاجى، يقل ناريه فى العالم، و يرسل عليه شعاعها.. و قال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد ماء البحر.. و قال آخرون هو أجزاء كثيره مجتمعته من النار.. و قال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربعة. ثم اختلفوا فى شكلها.. فقال بعضهم: هى بمنزله صفيحه عريضه... و قال آخرون هى كالكره المدحرجه.. و كذلك [ صفحه ١٦٤ ] اختلفوا فى مقدارها... فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء... و قال آخرون بل هى أقل من ذلك. و قال آخرون بل هى أعظم من الجزيره العظيمه. و قال أصحاب الهندسه هى أضعاف الأرض مائه و سبعين مره... ففى اختلاف هذه الأقاويل منهم فى الشمس، دليل على أنهم لم يقفوا على

الحقيقه من أمرها، فاذا كانت هذه الشمس التى يقع عليها البصر، و يدركها الحس، قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها، فكيف ما لطف عن الحس و استتر عن الوهم؟.. فان قالوا: و لم استتر؟ قيل لهم: لم يستتر بحيله يخلص اليها، كمن يحجب من الناس بالأبواب و الستور. و انما معنى قولنا استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام، كما لطفت النفس. و هى خلق من خلقه. و ارتفعت عن ادراكها بالنظر.. فان قالوا و لم لطف تعالى عن ذلك علوا كبيرا؟ كان ذلك خطأ من القول، لأنه لا يليق بالذى هو خالق كل شىء الا أن يكون مبينا لكل شىء، متعاليا عن كل شىء سبحانه و تعالى. [ صفحه ١٦٥ ]

### **الحق الذى تطلب معرفته من الأشياء أربعه أوجه و تفصيل ذلك**

فان قالوا: كيف يعقل أن يكون مبينا لكل شىء متعاليا عن كل شىء؟ قيل لهم: الحق الذى تطلب معرفته من الأشياء هو أربعه اوجه، فأولها: أن ينظر أوجود هو أم ليس بأوجود، و الثانى: أن يعرف ما هو فى ذاته و جوهره؟ و الثالث: أن يعرف كيف هو و ما وصفته؟ و الرابع: أن يعلم لماذا هو ولأى عله؟ فليس من هذه الوجود شىء يمكن للمخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته، غير أنه أوجود فقط. فاذا قلنا: و كيف و ما هو؟ فممتنع علم كنهه، و كمال المعرفه به. و أما لماذا هو؟ فساقط فى صفه الخالق، لأنه جل ثناؤه عله كل شىء. و ليس شىء بعله له، ثم ليس علم الانسان بأنه أوجود، يوجب له أن يعلم: ما هو و كيف هو؟ كما أن علمه بأوجود النفس لا يوجب أن يعلم: ما هى و كيف هى؟ و كذلك الأمور

الروحانيه اللطيفه... فان قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا، حتى كأنه غير معلوم؟ قيل لهم: هو كذلك من جهه اذا رام العقل معرفه [ صفحه ١٦٦ ] كنهه و الاحاطه به، و هو من جهه اخرى أقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلائل الشافيه. فهو من جهه كالواضح لا- يخفى على أحد و هو من جهه كالغامض لا- يدركه احد، و كذلك العقل أيضا ظاهر بشواهد و مستور بذاته.

## اصحاب الطوائف و مناقشه أقوالهم

فأما (أصحاب الطوائف) فقالوا: ان الطبيعه لا تفعل شيئا لغير معنى و لا عما فيه تمام الشئ في طبيعته، و زعموا أن الحكمة تشهد بذلك، فقليل لهم: فمن اعطى الطبيعه هذه الحكمة، و الوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها، و هذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التجارب؟ فان اوجبوا للطبيعه الحكمة و القدره على مثل هذه الأفعال، فقد أقروا بما أنكروا، لأن هذه في صفات الخالق. و ان انكروا أن يكون هذا للطبيعه، فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل للخالق الحكيم، و قد كان من القدماء طائفه أنكروا العمد و التدبير في الأشياء، و زعموا أن كونها بالعرض و الاتفاق و كان مما احتجوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف و العاده كإنسان يولد ناقصا أو زائدا اصعبا، أو يكون [ صفحه ١٦٧ ] المولود مشوها مبديل الخلق فجعلوا هذا دليلا على أن كون الأشياء ليس بعمد و تقدير بل بالعرض كيف ما أتفق أن يكون؟. و قد كان (ارسطاطاليس) رد عليهم فقال: ان الذى يكون بالعرض و الاتفاق انما هو شئ في الفرض مره لأعراض تعرض للطبيعه فتزيلها عن سبيلها، و ليس بمنزله الأمور الطبيعيه الجاربه

على شكل واحد جرياً دائماً و متتابعاً. و أنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجرى أكثر ذلك على مثال و منهاج واحد، كالإنسان يولد و له يدان و رجلان و خمس أصابع، كما عليه الجمهور من الناس، فاما ما يولد على خلاف ذلك فانه لعله تكون في الرحم، أو في المادة التي ينشأ منها الجنين، كما يعرض في الصناعات، حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته، فيعوق دون ذلك عائق في الأداء، أو في الآلة التي يعمل فيها الشئ، فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفها، فيأتي سويلاً لعله فيه، فكما أن الذي يحدث في بعض أعمال الأعراض لعله فيه لا يوجب عليها جميعاً الإهمال و عدم الصانع، كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية [صفحة ١٦٨] لعائق يدخل عليها، لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض و الاتفاق، فقول من قال في الأشياء أن كونها بالعرض و الاتفاق من قبيل أن شيئاً منها يأتي على خلاف طبيعته بعرض يعرض له خطأ و خطئ... فان قالوا: و لم صار مثل هذا يحدث في الأشياء؟ قيل لهم ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطرار من طبيعته، و لا يمكن أن يكون سواه - كما قال القائلون - بل هو تقدير و عمد من خالق حكيم، اذ جعل الطبيعته تجري أكثر ذلك على مجرى و منهاج معروف، و تزول أحياناً عن ذلك، لأعراض تعرض لها، فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبره فقيره الى ابداء الخالق و قدرته في بلوغ غايتها، و اتمام عملها، تبارك الله أحسن الخالقين. يا مفضل خذ ما آتيتك، واحفظ ما منحتك، و كن لربك من الشاكرين، و لآلائه من الحامدين،

و لأوليائه من المطيعين، فقد شرحت لك من الأدله على الخلق، و الشواهد على صواب التدبير و العمد، و قليلا من كثير، و جزءا من كل، فتدبره و فكر فيه و اعتبر به. فقلت: بمعونتك يا مولاي أقر على ذلك، و ابلغه ان شاء الله... فوضع يده على صدرى فقال: احفظ بمشيئه [ صفحه ١٦٩ ] الله، و لا- تنس ان شاء الله، فخررت مغشيا على، فلما أفقت قال: كيف ترى نفسك يا مفضل؟ فقلت: قد استغنيت بمعونه مولاي و تأييده عن الكتاب الذى كتبه و صار ذلك بين يدي كأنما اقرأه من كفى، فلمولاي الحمد و الشكر كما هو أهله و مستحقه. فقال: يا مفضل فرغ قلبك، و اجمع اليك ذهنك و عقلك و طمأننتك فسألنى اليك من علم ملكوت السماوات و الأرض، و ما خلق الله بينهما و فيهما من عجائب خلقه، و أصناف الملائكه و صفوفهم و مقاماتهم و مراتبهم الى سدره المنتهى، و سائر الخلق من الجن و الانس، الى الأرض السابعة السفلى و ما تحت الثرى، حتى يكون ما وعيته جزءا من اجزاء. انصرف اذا شئت مصاحبا مكلوءا، فأنت منا بالمكان الرفيع، و موضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى و لا تسألن عما وعدتكم حتى احدث لك منه ذكرا. قال المفضل: فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثله.

## پاورقى

[١] يتعاوران: يتداولان.

[٢] اخوت: جاءت.

[٣] الجاسيه: الصلبه.

[٤] يمضها: يوجعها و يؤلمها.

[٥] سيحا: زراعه اسيح هى الزراعه التى تحصل عن طريق الانهر و المياه الجاربه.

[٦] الارحاء: جمع رحى و هى الطاحون.

[٧] أبو نبوخذ نصر كان أعظم ملوك الكلدانيين، و قد عرف بالشده و البطش.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام  
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية  
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب  
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات  
توسيع عام لفكرة المطالعة  
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية  
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة  
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة  
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات  
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كiosk، الرسالة القصيرة ( sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

